لطائف وأسرار
خصوصيات الرسم العثماني
للمصحف الشريف

تأليف

الدكتور/ عبد العظيم المطعني

أستاذ الدراسات العليا

بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

تقديم

أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد

عضو مجمع البحوث الإسلامية

و رئيس جامعة الأزهر - سابقاً

الجزء الأول



الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

تقديم

أ.د/ عبد العظيم المطعني

سيرة عقل، وحياة قلم

المولد والنشأة، وعهد البناء:

هـو : عبـد العظيم إبراهيم محمد المطعنـي ولد في ١٥ مايو ١٩٣١م فـي قرية المنصوريـة مركز كوم أمبو محافظة أسـوان، ينتهي نسـب الشـيخ إلى قبيلة الخـزرج، وانتقـل الأجداد حتى اسـتقر بهم المقام في جزيـرة المنصورية، حفظ الشـيخ القرآن الكريـم بكتـاب القريـة، وتعلـم فيه مبـادئ القـراءة والكتابة، ثـم التحق بالمدرسـة التي أنشـئت بقريتـه، وكان كثير الاطلاع والقـراءة علـى كتب أخيـه أحمد، ثـم التحق بالأزهر الشـريف بمعهـد القاهـرة عـام ١٩٥١م، وكان مجتهدًا فـي طلب العلم، وواصل تعليمه الأزهـري قبل الجامعي، وفي عام ١٩٦٢م التحق بكلية اللغة العربية وتخرج في الشعبة العامة عام ١٩٦٦م.

التحق بالدراسـات العليا في قسـم البلاغة والنقد، وحصل على درجة التخصص (الماجستير في اللغة العربية في البلاغة والنقد) عنوانها: سـحر البيان في مجازات القرآن، ثم حصل علـى الدكتوراة عـام ١٩٧٤م عن رسـالة عنوانها (خصائص التعبير في القرآن الكريم سماته البلاغية) وكان الشيخ هادئ الطبع عَفّ اللسان لينا متواضعًا، كريم النفس.

عهد العطاء:

عُيّن الشيخ مدرسًا في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٤م، ثم رقي أستاذا مساعدا في ١٩٨١م ثم رُقِّي أستاذا في عام ١٩٨٥م وقد عمل في عدة جامعات خارج مصر، في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى وعمل مستشارا تعليميا لمديرها كما عمل في جامعة البحرين، ثم عاد إلى جامعة الأزهر أستاذا بكلية اللغة العربية بإِيتاي البارود.

عمله في الصحافة والموسوعات:

عمل محررا في جريدة الأهرام لمدة ثماني سنوات، وكان عضوا في نقابة الصحفيين المصريين من عام ١٩٦٩م حتى ١٩٨١م، عمل عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإِسلامية في اللجنة العليا للتخطيط للموسوعات، ومحررا في الموسوعات التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإِسلامية، موسوعة المفاهيم الإِسلامية، والموسوعة القرآنية، وقد ملأت مقالاته كثيرا من الصحف والمجلات، داخل مصر وخارجها.

نتاجه العلمي:

كان الشيخ من الطراز الأزهري الفريد بحر علم يتحدر، وغيث ينهمر في كثير من العلوم والمعارف، تصدى للمستشرقين والملحدين وخصوم الإِسلام، ونذر نفسه لبلاغة القرآن، والذود عنه وعن سنة المصطفى ﷺ ومن نتاجه العلمي:

مؤلفاته في مجال البلاغة:

١ـ المجـاز في اللغة والقرآن الكريم بيـن الإِجازة والمنع.. عرض وتحليل ونقد.

٢ـ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية.

٣ـ ساعة مع القرآن العظيم: دراسة موجزة في أساليب القرآن البيانية.

٤ـ من قضايا البلاغة والنقد.

٥ـ البديع من المعاني والألفاظ.

٦ـ علم البيان، التشبيه البليغ هل يرقى إلى المجاز؟

٧ـ التشبيه والتمثيل بين الإِمام عبد القاهر والخطيب.

٨ـ علم الأسلوب في الدراسات الأدبية.

٩ـ من أسرار النظم القرآني في سورتي الفتح والواقعة.

١٠ ـ دراسات جديدة في إعجاز القرآن.

١١ـ لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف

١٢ـ المجاز عند ابن تيمية وتلاميذه بين الإِقرار والإِنكار.

١٣ـ (التفسير البلاغي للاستفهام) في أربعة أجزاء.

مؤلفاته في مجال الفقه والدعوة والثقافة الإسلامية:

١ ـ الفقه الاجتهادي الإِسلامي بين عبقرية السلف ومآخذ ناقديه.

٢ـ الجائز والممنوع في الصيام.

٣ـ ملاحظات موضوعية حول فتوى إسلام المرأة دون زوجها وهل يفرق بينهما؟.

٤ـ مناسك الحج والعمرة على ضوء المذاهب الأربعة.

٥ـ النهي عن المنكر في مذهب أهل السنة والجماعة.

٦ـ نقل الأعضاء البشرية بين الجواز والمنع.

٧ـ العلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة.

٨ـ المرأة في عصر الرسالة بين واقعية الإسلام وأوهام المرجفين.

٩ـ حقوق المرأة والطفل بين الإسلام والوثائق الدولية.

١٠ ـ الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر.

١١ـ تدابير الأمن في الإسلام.

١٢ـ الحكيم في حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على الشريعة.

١٣ـ مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة.

١٤ـ الشفاعة حق لا ريب في الرد على منكر الشفاعة.

١٥ـ الهمزية في مدح خير البرية رائعة البوصيري عرض وشرح وتحليل.

مؤلفاته في رد الشبهات عن الإسلام وأهله:

١ـ مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه.

٢ـ افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد.

٣ـعقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين.

٤ـأوروبا في مواجهة الإسلام.

٥ـ سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية.

٦ـ الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة.

٧ـالتبشير العالمي ضد الإسلام أهدافه وسائله طرق مواجهته.

٨ـاستدراكات مراد هوفمان على الإسلام عرض وتقويم.

٩ـ أسباب زواج النبيﷺ بأمهات المؤمنين ومواجهة افتراءات المغرضين.

١٠ـ الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي.

١١ـأخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة النبوية.

١٢ـ المشروع الإسلامي البديل لوثائق الأمم المتحدة.

١٣ـالحداثة سرطان العصر أو ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث.

١٤ـ مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير.

١٥ـأبي آدم قصة الخليقة بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض.

١٦ـ المسـيحيون والمسـلمون فـي تلمود اليهـود غرائب وعجائب.

١٧ـ جوانيات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا.

١٨ـ لماذا لا بد من دين الله لدنيا الناس؟

١٩ـ قراءات من كتاب أحمر: لينين زعلان من الشيوعية.

٢٠ـ ما يقال عن الإسلام عبر الإنترنت.

٢١ـ محمد في كتابات المستشرقين.

مرضه ووفاته:

اشتد به المرض، وتعاونت عليه الأسقام، وبُتر ساقُه، وذهب سمعُه وكان -رحمه الله- صابرا محتسبا، حتى وافته المنية يوم الأربعـاء ٢٧ من شـهر رجب، الموافق ٣٠ مـن يوليو٢٠٠٨م، وصُلِّيَـت عليـه الجنازةُ بمسـجد النور بالعباسـية، بعد سـبعة وسبعين عاما قضاها في الإسلام تعلما وعطاء ودفاعا، تقبله الله في الصالحين.

رسم المصحف توقيف أم اصطلاح؟

اختلفت آراء العلماء على رأيين:

الرأي الأول: أن الرسم العثماني توقيفي، ويحتجون لذلك بأن رسـول الله ﷺ كان لـه كتبة للوحي، وقد أجمـع جمهور الفقهاء على حرمة كتابـة المصاحف بغير الرسـم العثماني، والوجه في فهـم معنى التوقيف أنه توقيف إجماعي من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

الرأي الثاني : أن الرسـم العثماني اصطلاحي ، والوجه ـ فيما أبصـر ـ أنـه اصطلاح مـن الصحابة في عهد عثمـان ، وعلى كلا الرأيين لا يجوز كتابة المصاحف بغير الرسم العثماني ، وسمي بذلك نسـبة إلى عهد كتابته ، لأن هذا الرسـم يتحمل القراءات القرآنية المتواترة .

والأحناف علـى أنه ينبغي ألا يكتب بغير الرسـم العثماني ، وقد سـئل الإمـام مالك : هل تكتـب المصحف علـى ما أخذته الناس من الهجاء ؟ في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك ، فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى ، وعند الشـافعية أن رسـم المصحف سنة متبعة ، وعند الإمام أحمد بن حنبل أنه تحرم مخالفة خط عثمان ، وقـال الإمام أبـو عمرو الداني : ولا مخالف لـه من علماء الأمة . وهكذا اتخذت الأمة الإسـلامية الرسـم العثماني سنة متبعة إلى عصرنا هذا ، كما قال البيهقي في شعب الإيمان : واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة .

هل رسم المصحف معجز؟

القائلون بأن رسـم المصحف توقيفـي قالوا بأنه معجز ، وقد ذكر العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف بالله شيخه عبد العزيز الدباغ في كتابه الإبريز ما نصه : رسـم القرآن سـرٌّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة وهو صادرٌ من النبي ﷺ وهو الذي أمر الكُتَّـاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا

زادوا على ما سمعوه من النبي ﷺ وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي -صلوات الله وسلامه عليه- وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خصَّ الله -تعالى- به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور فإن لها أسرارًا عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيئًا من المعاني الإلهية التي أُشيرَ إليها فكذلك أمرُ الرسم الذي في القرآن حرفا بحرف.

ولأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي المتوفى سنة ٧٢١هـ كتاب عنوانه: (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، وتتلخص فكرته في أن الرسوم اختلفت في الخط بحسب اختلاف معاني كلماتها، وأن الصحابة لم يكن ذلك منهم كيف اتفق، بل على أمر عندهم قد تحقق، ونقل الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه البرهان (١ / ٣٨٠-٤٣٠) معظم ما جاء في كتاب ابن البناء المراكشي، وأشار السيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان (٤ / ١٤٥، ١٥٠). والقائلون بأنه اصطلاحي لم يقولوا بإعجاز الرسم لكنهم لم ينفوا أن للرسم دقائق وأسرارا منها ما يظهر ومنها ما يخفى ولعلماء الأمة كتابات ثرية في الكشف عن علل الرسم ودلالاته اللغوية.

هذا الكتاب

هذا الكتاب صنعة الشيخ الدكتور عبد العظيم المطعني الذي تنشره مجلة الأزهر على ثلاثة أجزاء، بذل فيه الشيخ جهدًا مباركا، وهو مصوغ بأسلوب سهل يتيح لكل قارئ أن يفهم منه، وقد مهد لكتابه بذكر المقصود بخصوصيات الرسم، وبيان الفرق بين الرسم وما ألحق بالمصحف بعد ذلك من النقط والشكل وعلامات الوقف، حيث إن الرسم ينصرف إلى هيئة الكلمة، فهي مرسومة على الهيئة المرسومة في المصحف الإمام، وقد قسم الخصوصيات قسمين، قسما ضم ما ألحق بالمصحف وقسما يتصل بالبنية، وضرب لكل قسم منهما الأمثال، وقد وضع في التمهيد إطارا عاما لهذا الموضوع وجعلها خمسة ما يحصل في بنية الكلمة حذفا، وزيادة، وفصلا ووصلا، وقبضا وبسطا، وإحلال حرف مكان آخر في بنية الكلمة، وضرب الأمثال لكل ذلك، ثم تناول الأقسام قسما قسما وبدأ بالعلامات، ثم ثنى بالخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة، كحذف الواو وزيادتها كقوله – تعالى :

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾

(الإسراء : ١١)

حيث حذفت الواو دون سبق جازم فما سر ذلك ؟ ومثال

الزيادة قوله ـ تعالى :

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾

(الأنبياء : ٣٧)

ويتبع الشيخ المنهج الوصفي التحليلي، ويقيم كتابه على الاستقراء التام لكل هذه الظواهر في المصحف الشريف، وقد قدمناه لقراء مجلة الأزهر رجاء أن يجد القارئ الكريم ـ بإذن الله ـ ما يشفي غلته، ويقدم له ما يؤكد له أن للرسم أسرارا في أسلوب راقٍ سهلٍ؛ رحم الله شيخنا ونفعنا بما خط ذراعه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

كتبه

أ.د / إبراهيم صلاح الهدهد

عضو مجمع البحوث الإسلامية

ورئيس جامعة الأزهر - سابقًا

تمهيد

المقصود بـ(خصوصيات الرسم العثماني) هنا هو رسم بعض الكلمات رسمًا مخالفًا للرسم الإملائي الحديث بل والقديم ، اللذين يعتمدان على قاعدة كلية تجري عليها كتابة كل الكلمات ، تلك القاعدة هي :

(أن الكلمة تُكتَب كما تنطق) يعني أن : كتابة أية كلمة تكون مطابقة تمامًا لصورة الكلمة (الصوتية) فلا تزيد عنها حرفًا ولا تنقص عنها حرفًا ، اللهم إلا في بعض مواضع قليلة يكون فيها نطق الكلمة أنقص من كتابتها ، ومن أمثلة ذلك همزة الوصل فإنها تكتب في بنية الكلمة دائمًا سواء كانت في الأفعال أو الأسماء لكن نطقها لا يكون دائمًا مثل كتابتها بل تنطق أحيانًا وتسقط في النطق أحيانًا أخرى . . تنطق إذا لم يتقدم عليها مباشرة حرف عطف مثلًا ، ولا تنطق إذا تقدم عليها مثل قوله تعالى :

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾

(يس : ١٣)

فهمزة الوصل هي الواقعة بين الواو والضاد وهي هنا غير منطوقة لوقوعها في درج الكلام .

أما إذا ابتدئ بها فإنها تنطق مثل قوله تعالى :

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

(الأحزاب : ٥)

الهمــزة التي قبل الدال همزة وصل وهي -هنا- واجبة النطق لأنها ابتدئ بها ولم تقع في درج الكلام.

وهمــزة الوصل هذه لها مواطن كثيرة ترد فيها، منها ورودها قبــل لام التعريــف مثل: اليــوم، القــوم، الأرض، الكتاب.. إلخ فينطق بها في الابتداء وتسقط في الدرج.

كذلــك فــإن ترتيــل الكلمــة القرآنيــة ومــا يتبعه مــن جمل وآيــات قرآنيــة ترتيــلًا صحيحًا كمــا أنزله الله عز وجــل باتباع أحــكام التلاوة يعطي إعجازًا ومعاني جديــدة وأحكامًا لا تكون واضحــة حينما تقــرأ القرآن الكريم قــراءة عادية.. إن مد بعض الحــروف أو إظهــار التنوين والنون الســاكنة أو تطبيق الغنة في التنويــن والنون الســاكنة أو إدغام التنوين والنون الســاكنة في بعــض الحــروف الأخــرى.. بالإضافة إلــى باقي أحــكام التلاوة يعطــي المعاني الحقيقية لآيات القــرآن الكريم، فالإظهار يعني الالتصــاق والفوريــة والأمــور القطعيــة.. أما الغنــة فإنها تعطي المسافة والمهلة.

ومن المواضع التي لا يطابق النطق فيها الكتابة: كل فعل ماض يســند إلى واو الجماعة مثل: قاموا، قعدوا، أو مضارع مجزوم أو منصوب يسند إلى واو الجماعة مثل: لم يقوموا، لن يقوموا.

أو أوامــر تســند إلــى واو الجماعة مثل: قومــوا، في كل هذه المواضع فإن الألف المرســومة بعد الواو تكتب ولا تنطق سواء كان ذلك في القرآن الكريم أو في غيره.

إذن فالرسم أو الخط الإِملائي الحديث ولنصطلح على تسميته بـ(الرسم العامّ) من الآن ليكون مقابلًا للرسم الخاص للقرآن الكريم.

هذا الرسم العام قاعدته الأساسية كتابة أو رسم الكلمة على الصورة الصوتية التي تَجري على لسان القارئ إلا في مواطن قليلة يهمل الخط أو الرسم العام هذه القاعدة.

والوقوف على هذه المواطن ميسور في علم الإِملاء وقد قام كثير من المحدثين بوضع مؤلفات قيمة في هذا الفن.

ولا ريب في أن الرسم العثماني للمصحف الشريف لم يكن كله مخالفًا للرسم العام (الخط الإِملائي الحديث) في ما لا يعد ولا يحصى من الكلمات، لكنه ينفرد بأمور تخالف الرسم العام هي التي أسميناها (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف) وهي في الواقع (خصوصيات) كثيرةٌ كثرةً مستفيضةً.

إن هذه الخصوصيات وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم هو الإِعجاز الخطي في رسم الكلمات.

إنه منهج مبتكر في رسم المصحف لا وجود له إلا فيه.. هدى الله إليه كتبة الوحي في حياة النبي ﷺ حين كان القرآن ينزل؛ لأن هذا الرسم مأخوذ عن الوثائق النبوية التي كانت محفوظة في بيته يوم انتقل إلى الرفيق الأعلى وهي التي نسخها عثمان بن

عفان ﵁ في (المصحف الإمام) وعنه صدرت كل المصاحف[1].

ومما تجب الإشارة إليه أن رسم المصحف الموجود الآن المتداول في جميع بقاع العالم الإسلامي على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وبيئاتهم هو الرسم نفسه الذي كتبه كُتَّاب الوحي في حضرة صاحب الرسالة ﷺ وأقرَّهم عليه، وكان الرسم المعتمد في أول جمع للقرآن الكريم في خلافة أبي بكر ﵁ وكذلك في الجمع الثاني للقرآن في خلافة عثمان بن عفان ﵁ ثم جميع المصاحف في جميع عصور وبيئات الأمة الإسلامية حتى هذه اللحظة.

أما الإضافات التي أُلحقت برسم المصحف بعد ذلك مثل نقط الحروف وتشكيلها بالفتح والضم والكسر والجزم وعلامات الوقف، فهذه لم تمس هيكل الكلمات وإنما هي موضوعة إما فوق الحروف وإما تحتها ولا مساس لها قط برسم أو كتابة الكلمات، الذي تم في العصر النبوي، وقد اطلعنا على ما قاله بعض المتعجلين منا نحن -المسلمين- بأنَّ ما يقال عن أسرار ولطائف خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف -قديمًا وحديثًا- إنما هو مجرد تحكم، بل ذهب بعضهم -سامحهم الله- إلى أنه يرجع إلى ضعف الصحابة الذين كتبوا القرآن بين يدي رسول الله ﷺ في معرفة أصول الخط والكتابة!

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٤١٢، الإمام الزركشي، ط: عيسى البابي الحلبي.

وبالـغ أحدُهــم فقــال : هــذا مــن اللحــن الموجــود في خط المصحــف ، والذي قــال عنه عثمــان ﷺ : «إن في القــرآن لحنًا ستقومه العرب بألسنتها » !

وذو النورين عثمان بن عفان ﷺ بريء من هذه الحماقة وهذا الغبــاء ، ويتحمــل إثمَها من يرددها زورًا عنــه ، فعثمان ﷺ الذي أمر بنســخ الوثائق النبوية التي حُفظت في بيته حتى جمعها أبو بكــر في (المصحــف) ثم أمر عثمان بنســخها في (المصحف الإمــام) بدون إحداث أي تغيير يُذكَر فــي (الوثائق النبوية) ثم صار (المصحف الإمام) الذي تمَّ تدوينه في خلافة عثمان ﷺ هو الذي نُسخت عنه جميع المصاحف اللاحقة حتى الآن ، وسيظل بإذن الله كعبة المصاحف حتى يرث الله الأرض ومن وما عليها .

وهــبْ -جدلًا- أن عثمان -حاشــا لله- قال هــذه العبارة فإن الاستشــهاد بها في هذا المجال باطــل ؛ لأن اللحن وصفٌ للفظ المنطوق لا للكلام المكتوب ، فمثلًا (بســم الله) ورد في رســم المصحف (محذوف الألف) في كل موضع ورد فيه .

أما (باســم ربك) فقد ورد الألفُ مثبتًا فيه في جميع مواضع وروده فــي القرآن الكريم ، أما النطق فيهما فواحد ســواء حذف الألف من (اســم) أو لم يحــذف ، فكيف إذن تُصلِح العربُ هذا اللحن (الخطي) بألسنتها يا ترى ؟

إنــه لَافتــراءٌ عظيمٌ على (ذي النورين) بــل وفيه رميٌ لعثمان بالجهــل الفاضح لو كان قال هذا الكلام وأراد منه إصلاح ما في

بعض كلمات القرآن من خصوصيات في الخط هي وجه من وجوه إعجازه العظيم.

وتيسيرًا للفهم نقول:

إن خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف تأتي على قسمين كبيرين:

القسم الأول:

خصوصيات حاصلة برموز موضوعة فوق بنية الكلمة ونكتفي منها بما اصطلح على تسميته (علامات الوقف) وهي ست وتكتب هكذا:

١- (مـ) وهي ميم صغيرة توضع على الحرف الأخير من الكلمة، ومثالها من القرآن:

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

(يس: ٧٦)

والمعنى الظاهر وجوب الوقف على كلمة (قولهم) للفصل في زمن النطق بينهم.

٢- (لا) وهي لام صغيرة توضع على الحرف الأخير من الكلمة دلالة على امتناع الوقف عليها وقراءتها هي وما بعدها بدون فاصل زمني.

ومثالها قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾

(النحل: ٣٢)

هذه اللام الصغيرة (لا) تشير إلى منع الوقف على ﴿طَيِّبِينَ﴾ والابتـداء بـ﴿يَقُولُونَ﴾ هـذا معناهـا الظاهر ولهـا معنى آخر معدود من اللطائف والأسرار سيأتي قريبًا إن شاء الله.

٣- (ج) وهـي جيـم صغيرة توضع علـى الحرف الأخير من الكلمـة للدلالة علـى أن الوقف على هذه الكلمـة وعدم الوقف جائز جوازًا مستوِي الطرفين.

ومثاله قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ﴾

(البقرة: ٢٦)

وُضعـت الجيم الصغيـرة فوق آخر كلمـة ﴿فَوْقَهَا﴾ ودلت علـى أن الوقف عند هذه الكلمة جائز كما أن وصلها بما بعدها ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.. جائـز كذلـك دون ترجيح لأحدهما على الآخر.

٤- (صلـي) وهـي كلمة مركبـة من ثلاثة أحـرف: الصاد، الـلام، الياء، وتوضع كذلك على آخر الكلمة للدلالة على جواز الوقف عندهـا والوصل بما بعدها لكن الوصل أرجح وأقوى من الوقف، ومثالها قوله تعالى في سورة غافر:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

(غافر: ٦٨)

العلامـة موضوعة على طـرف كلمة ﴿وَيُمِيتُ﴾ إشـارة على

جـواز الوقـف عندها لكن وصلهـا بما بعدهـا ﴿فَإِذَا﴾.. أقوى وأولى..

هذا هو معناه الظاهر وسـيأتي ما فيها من لطائف وأسـرار مع هذا المعنى الظاهري.

٥- (قلـي) وهي علامـة مكونة من ثلاثة أحـرف كما ترى، ومعناها الظاهري أن تدل على جواز الوقف والوصل عند الكلمة التـي توضع هذه العلامة (قلـي) فوق طرفها، لكن الوقف أقوى وأرجح من الوصل عكس ما تقدم في العلامة (صلي).

ومثالها قوله تعالى:

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾

(الكهف: ٢٢)

وللقـارئ أن يصـل بيـن الكلمتين وهمـا: ﴿قَلِيلٞ﴾ و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ لكنـه إذا فصـل بينهما بالوقف علـى الأولى ﴿قَلِيلٞ﴾ كان الفصل أرجح.

٦- (∴ - ∴) وهمـا رمـزان كل منهمـا مكـون مـن ثلاث نقاط على شـكل الثريَّا أو على شـكل مثلث قاعدته من أسفل ورأسـه مـن أعلى، وهـذان الرمـزان متلازمان يوضـع أحدهما فـوق طرف كلمـة والآخر فـوق نهاية كلمة أخـرى، والمعنى الظاهـري الشـكلي لهذيـن الرمزين التحذير مـن الوقف على كلتـا الكلمتين اللتيـن وُضع هذان الرمـزان عليهما معًا، فإذا

وقف القارئ على الأولى لا يقف على الثانية، وإذا لم يقف على الأولى جاز الوقوف على الثانية.

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٦)

في هذه الآية يجوز الوقف على أي منهما منفردة، إنما لا يجوز الجمع بين الوقفين.

هذه النماذج من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف من القسم الأول وهو ما يوضع فوق الكلمات ولا يدخل في بنية الكلمة.

القسم الثاني:

خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة وبنية الكلمة هي الحروف المكونة منها الكلمة مثل: القاف والنون والتاء في كلمة (قنت).

وهذا النوع من الخصوصيات يعد فارقًا جوهريًا بين الرسم العام (الخط الإملائي الحديث) والرسم العثماني للمصحف الشريف، ولولا ورود هذه (الخصوصيات) لما كان بين رسم المصحف وطرائق الإملاء الحديث فرق قط أي فرق.

واللطائف والأسرار التي ترمز إليها هذه (الخصوصيات) الحاصلة في بنية الكلمة أمور تدعو إلى الدهشة والعجب حتى لو

أننا أسميناها وجهًا جديدًا من وجوه الإعجاز البياني هو (الإعجاز الخطي) لكان اسمًا على مسمى حقيقي لا افتراضي ولا ادعائي.

وتيسيرًا للفهم في هذا التمهيد نقول:

إن الإطار العام لهذا النوع من (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف) الحاصلة في بنية الكلمة يمكن تصنيفه كالآتي:

أ- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالحذف.

ب- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالزيادة.

ج- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالوصل والفصل.

د- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالقبض والبسط.[٢]

هـ- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بإحلال حرف محل حرف آخر فيها.

ذلك هو الإطار العام لخصوصيات القسم الثاني الحاصلة في بنية الكلمة، ونأخذ الآن في التمثيل لكل منها بمثال ثم نرجئ الإكثار منها إلى ما سيأتي في التفصيل:

(أ) أمثلة الخصوصيات الحاصلة بالحذف من بنية الكلمة:

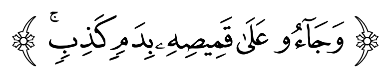
- حذف الواو:

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ (الإسراء: ١١)

(٢) المقصود بالقبض هنا ورود تاء التأنيث مربوطة، مثل: نعمة، أما البسط ويسمى المد كذلك فهو ورود تاء التأنيث مفتوحة مثل: رحمت ونعمت بدلًا من رحمة ونعمة.

فـي هذه الكلمـة الحكيمة حذفت (الواو) مـن آخره ولم يسـتدع هذا الحذف عوامل نحويـة ولا قواعد صرفية فالفعل (يدعـو) معتـل الآخر بالواو ولـم يتقدم عليه جـازم يقتضي حـذف حـرف العلة، وهذا الحذف لم يقـعْ عبثًا في كتاب الله وإنما حذف لمعنى لطيف وسـر بياني آسر سيأتي ذكره قريبًا إذا شاء الله.

- حذف الألف:



(يوسف: ١٨)

في الرسـم العام أو الخط الإملائي الحديث يكتب هذا الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة هكذا: (جاءوا).

لكننا نراه في الرسم القرآني هكذا:

﴿وَجَآءُو﴾

بحذف الألف، التي بعد الواو، وفي هذا الحذف رمزٌ لمعنى، -كما سـتعرف- قائـم مقام الوصف لهذا المجيء المسـند إلى إخوة يوسف عليه السلام.

- حذف الياء:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾

(البقرة: ١٨٦)

ب) أمثلة الخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة بالزيادة:

ـ زيادة الواو:

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾

(الأعراف: ١٤٥)

الواو الواقعة بين الهمزة والراء في

﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾

فريدة فهي لا تنطق مع وجودها في بنية الكلمة ولم تأت زيادتها عبثا -حاشا لله-، بل إن هذه الزيادة رمز للدلالة على معنى دلت عليه، وسيأتي توضيحه بعون الله.

ـ زيادة الألف:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾

(النمل: ٢١)

دقق النظر في هذه الآية، تجد في كلمة:

﴿لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾

ألفًا زائدة في الخط، بعد الهمزة التي بعد لام التوكيد، وقبل حرف الذال التالي لهذه الألف مباشرة، وفي رسم المصحف تجد هذه الألف مهملةً في النطق، فهي مزيدة من حيث المعنى؛ لأن لها معنًى لطيفًا سيأتي بيانه.

ـ زيادة الياء:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الذاريات : ٤٧)

انظر إلى كلمة ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾

تجـد فيها ياءين متجاورتين، جمع يـد، وهذا الجمع يكتب في الرسـم العام هكذا: (أيد)، بياء واحدة، إذن فإحدى اليائين في الرسم القرآني، زائدة، فهو لا ينطق بها.

هـذا من حيث الخطّ، أما مـن حيث المعنى فهو ليس بزائد؛ لأن له ما يرمز إليه، والمعول عليه في الزيادة المحضة أن يخلو الزائـد مـن الدلالة على معنـى، وهذا لا وجود له فـي كتاب الله العزيـز، وقبل أن ننتقل إلـى التمثيل لبقيـة الخصوصيات ننبه القـارئ الكريم إلى مواطن الحذف والزيادة التي مثّلْنا لها، ولها نظائر بالقرآن مثل:

حذف الألف الأخيرة من أسلوب النداء (يا أيها) ومثل حذف النون من المضارع (أك) وكل هذا سنعرض لدلالته بتوفيق الله.

جـ) الفصل والوصل:

ليس المراد من الفصل والوصل هنا ما هو معروف في علم المعاني بالعلاقات بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، مـن حيث عطـف بعضهما على بعض بالـواو خاصة، أو ترك ذلك الفصل، بل المراد معنى آخر يحدث بين أدوات المعاني

بعضهـا ببعض، وبينها وبيـن غيرها مما هو كالأدوات، مثل (ما) الموصولة، ويتضح هذا من التمثيل الآتي:

مثال الوصل:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾

(غافر: ٤٣)

موطن الشـاهد هـو (أنما) حيث وصلت (مـا) بـ(أن) ولم يفصل بينهما فيقال: أنَّ ما تدعونني إليه.

وهـذا الوصل إنْ بـدا أنه جارٍ نهج الخـط الإملائي الحديث، فإن له في الرسم القرآني الشريف معنًى رمز إليه سيأتي بيانُه إذا شـاء الله، مع التوسع في ذكر أمثلة من الكتاب العزيز؛ لأن وراء كل السمات القرآنية أسرارًا ولطائفَ تُقنِع وتمتع في آن واحد.

مثال الفصل:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

(الحج: ٦٢)

في هـذه الآية الحكيمة فُصلت (ما) وهو اسـم موصول عن (وأن) التـي وقعت قبلها مباشـرة حيث لم يقل: وأنما يدعون، بل قـال: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ عكس الموضـع الذي وُصلت فيه والذي تقدم ذكره آنفًا.

وهذا الفصل هنا رمزٌ لمعنى يدل عليه كالوصل هناك، سواء بسواء.

د) القبض والبسط:

هما من الخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة ولهما كلمات محددة يتواردان عليها، نكتفي بالتمثيل لهما بواحدة منها.

مثال القبض:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(النحل: ١٨)

انظر إلى كلمة (نعمة) تجدْ تاءَها مربوطةً، وهذا هو القبض وله دواعٍ دعتْ إليه.

مثال البسط:

ويسمى المد -كذلك- ومعناه أن تكتب بعض الكلمات المؤنثة، ومنها (نعمة) وتاء تأنيثها مفتوحة، ومثاله:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

وهذا البسط أو المد له معانٍ يدل عليها، آتٍ شرحُها بعون الله.

هـ- إحلال حرف محل حرف آخر:

ومثاله:

﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾

(البقرة: ٢٤٧)

ثم ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ (الأعراف: ٦٩)

والشاهد في كلمتي (بسطة) و(بصطة) الأولى بالسين والثانية بالصاد ولكل منهما معنى غير معنى الآخر، من أجله حدث هذا الإحلال..

ذاك هو الإطار العام لخصوصيات الرسم أو الخط المكتوب به المصحف الشريف، مع ذكر أمثلة سريعة لها، وهي خصوصيات تَشيع في الرسم الخطي لكتاب الله العزيز شيوعًا مستفيضًا، لا تخلو سورة واحدة مهما قصرت من شيء منها، وأكثرها شيوعًا حذف الألف وحذف الياء.

إن كل هذه الخصوصيات لم تأت عبثًا، بل لها دلالات وثيقة الصلة بمفهوم الإعجاز القرآني المتعددة الوجوه والسمات.

وقد حمَلَنا على الكتابة فيها أمران:

الأول: أنَّ ما تدل عليه هذه الخصوصيات من لطائف وأسرار لم يأخذ حقه من الشيوع والانتشار بين الناس -عامتهم وخاصتهم- مع كثرة الدراسات القرآنية التي تزخر بها الجامعات والمكتبات والمؤسسات العلمية والثقافية.

يضاف إلى هذا أن كثيرًا من قراء كتاب الله تلفت أنظارهم

تلك الفروقُ الكثيرة بين الرسم الخطي الإملائي الحديث، ثم لا يهتدون لمعرفة لطائفها وأسرارها، فاستخرنا الله وعقدنا العزم على تحرير هذه الصفحات، إسهامًا متواضعًا في تجلية بعض اللطائف والأسرار التي تزخر بها هذه (الخصوصيات القرآنية) ولتكون خطوة أولى في طريق شاق وطويل، وعسى أن يكون غيرُنا أقدرَ منا على رسوخ القدم فيه.

الثاني: أن دعوةً صدرتْ من بعض مدعي المعرفة، تدعو المسلمين إلى إعادة كتابة المصحف الشريف بالخط الإملائي الحديث، تيسيرًا على الناس وتسهيلًا لقراءة القرآن على كل الناس معتقدين أو ظانين أن الكلمات القرآنية المكتوبة بغير الخط الإملائي العامّ تخلو من الدلالة على أيّ معنًى من المعاني.

قالوا هذا بحسن نية، وتحدثتْ الصحفُ المصرية والعربية عن تلك الدعوة، ما بين مؤيد ومعارض.

هذان الأمران هما اللذان حفَّزَانا على تقديم هذه الدراسة، وسنبين -بإذن الله- ما في تلك الخصوصيات من الأسرار واللطائف، على هَدْي ما عثرنا عليه من بعض القواعد في كتب السلف وما منَّ الله به من إضافات على النسق الذي تركه علماؤنا الأقدمون -رضي الله عنهم أجمعين-.

القسم الأول
خصوصيات حاصلة برموز موضوعة فوق بنية الكلمة

كنـا قـد أشـرْنا إلـى (علامـات الوقـف) فـي مقدمـة تلك الخصوصيـات التي انفرد بها رسـمُ الكلمـات القرآنية ؛ لذلك كان من الأوفق أن نبدأ ببيان لطائفها وأسرارها وما ترمز إليه من معانٍ رائعةٍ من أجلها كانت تلك (العلامات أو الخصوصيات) .

(علامات الوقف) هي:

(ج – صلـى – قلـى – لا – مـ – ...) ويلاحظ أن رسـم هذه العلامات يكون أصغر من رسـم الكلمات القرآنية ، وأنها توضع فوق بعض كلمات الآية ، في أماكن خاصة بها ، وليس منها شيء يوضع أسـفل الكلمـات قطّ وهي كثيرة الوجـود في المصحف الشريف .

كُتـبُ علـومِ القـرآن لا تذكـر لهـذه العلامـات إلا المعاني الظاهريـة كاسـتواء الوقـف والوصل ، أو ترجيـح أحدهما على الآخر ، مما يتصل بقراءة القرآن وآداب تلاوته ، وجودة أدائه .

أما مـا ترمز إليه هـذه (العلامـات) أو (الخصوصيات) من معـانٍ جعلـت الوقفَ والوصلَ مسـتويين في التـلاوة أو جعلت أحدهمـا أرجح من الآخـر أو جعلت الوصل ممنوعًـا أو واجبًا ، فهـذا لم يتطرقْ إليـه البحثُ في كتب القوم ولا في الدراسـات

القرآنية قديمًا وحديثًا، مع أن هذا النوع من الدراسة يخدم قضية الإعجاز القرآني والبيانــي خدمة جليلة، نطمع في إدراك القارئ لها وهي تتجلَّى بين ناظريه، صفحة تلو صفحة إن شاء الله.

هذا، وقد جرت عادة كتبة المصاحف الشريفة أن يذكروا في بيــان التعريف بالمصحف الذي يثبتونه في نهاية كل مصحف، جرت عادتهم على أن يذكروا بعض مواضع من الآيات القرآنية، يستشــهدون بها على توضيح المراد من كل علامة من علامات الوقــف، مــن حيث جــواز الأمرين (الوقــف، والوصــل) جوازًا مستويَ الطرفين، أو امتناع (الوصل)، أو ترجيح أحدهما على الآخر.

وهــا نحن أولاء نذكر ما استشــهدوا به، ونخطو بالدرس إلى ما لم يقولوه من اللطائف والأســرار، بيد أننا ســنؤخر الحديث عن الوقف اللازم، والوقف الممنوع مع بيان الفرق بينهما، إلى نهاية المطاف في هذا الفصــل؛ لأن العناية بهما واجبة، فنقول -وبالله التوفيق- ومنه العون:

العلامة الأولى (ج)[٣]:

ذكرَ كتبةُ المصاحف للاستشــهاد على المعنى المراد من هذه العلامة قوله تعالى:

---

(٣) عددنــا العلامــة (ج) أولى باعتبار التناول في هذه الدراســة لا باعتبار ذكرها في التعريف بالمصحف.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾

(الكهف: ١٣)

علامة الوقف (ج) موضوعة فوق (القاف) من كلمة (الحق) ومعناها الظاهري أن القارئ مخير بين الوقف على كلمة (الحق) ثم البدء بكلمة (إنهم) وبين الوصل في الكلمتين (الحق) و(إنهم).

وأن كلًا من الوقف والوصل جائز بلا ترجيح أحدهما على الآخر، أما ما لم يذكروه من اللطائف والأسرار في هذه الآية الكريمة فهو الآتي:

أن جملة

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾

وجملة

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾

بينهما تناسب وصلة حميمة: فالجملة الأولى خبرية لفظًا ومعنًى، والجملة الثانية خبرية مثلها لفظًا ومعنًى كذلك.[٤]

ثم إن الجملة الثانية بيان لمعنى مطويٍّ في الجملة الأولى حيث لوَّحتْ الجملة الأولى بكشف اللثام عن فتية الكهف،

---

(٤) الجملة الخبرية هي ما دلت على حدث وقع قبل زمن التكلم بها لأول مرة أو على حدث يقع في زمن التكلم مثل: «نقول - نكتبُ». أما الجملة الإنشائية فهي ما دلت على حدث يقع بعد زمن التكلم مثل: أدِّ الحقوقَ لأصحابها.

وجاءت الجملة الثانية موفية المعنى الذي لوحت إليه الجملة الأولى، وكشفت عن حقيقة (أصحاب الكهف)، هكذا:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾

لذلك كان الوقف والوصل جائزين جوازًا مستوي الطرفين، دونما ترجيح لأحدهما على الآخر.

ومثل هذه الآية قوله تعالى:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾

(البقرة: ١٩)

علامة الوقف المستوِي الطرفين (ج) موضوعة على كلمة ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ وهي خاتمة جملة خبرية ﴿يَجْعَلُونَ﴾ والجملة التالية لها جملة خبرية.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾

لذلك استوى وصل الجملتين والوقف بينهما.

وليس اعتبار الوقف والوصل مستويين محصورًا في الجملة الخبرية والإنشائية بل له اعتبارات يضيق المقام عن مجرد الإشارة إليها.

العلامة الثانية (صلى):

والآية التي استشهد بها كتبةُ المصاحفِ على المراد من هذه العلامة هي قوله تعالى:

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

(الأنعام: ١٧)

هـذه العلامـة (صلى) ترمز إلى جواز الوقـف والوصل بين شـطري الآيـة اللذَيْـن ينتهي أولهمـا بكلمـة ﴿هُوَ﴾ ويبدأ الثاني بكلمة ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ﴾ بَيْد أن الوصل أرجح أو أقوى من الوقف.

ومعلـوم أن الجملتيـن خبريتـان لفظًـا ومعنًـى، وهمـا تتعاونان في الإفصاح عن سـنةٍ لله في خلقه، هي أن الله وحده هو المتصرف في شئون عباده.

وإذا وقف القارئ على كلمة ﴿هُوَ﴾ فاصلًا بين الجملتين صحَّ أداؤه، وإن وصل بين الجملتين صحَّ أداؤه، مع كونه أدقّ وأنسب من الوقف، وهذا منظور فيه إلى جانب المعنى.

والمعنى في الجملة الأولى:

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾

يجذب نفوس العباد ومشـاعرهم إلـى الله -عز وجل- من حيث دفع المضار.

والمعنى في الجملة الثانية يجذب نفوس العباد ومشاعرهم نحو الله جل وعلا من حيث جلب المنافع وزيادة الفضل.

فالوقف جائزٌ باعتبار الفرق بين دفع مضرة قائمة بالعبد،

إذا دُفعت عنه رجع العبدُ إلى أصل السلامة قبل الإِصابة بها.

والوصـــل أولى وأنســب باعتبــار أن كلًّا من دفــع المضرة وجلب المنفعة نعمتان محبوبتان عند العباد.

هذا هو الســر الذي يومئ إليــه كلٌّ من الوقف والفصل في هذا الموضع من هذه الآية الكريمة.

والوقــف والوصــل فــي آداب تــلاوة القــرآن شــبيهان بالفصــل والوصل في علم المعاني أحــد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة.(٥)

وعلماء علوم القرآن لم يتعرضوا لهذه المعاني والأسرار، وإنمــا كان قصدُهم إرشــاد قراء كتاب الله العزيــز إلى جودة تلاوته من حيث الأداء اللفظي.

ونظير آية الأنعام قوله تعالى:

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (البقرة: ٧)

الملاحظ أن علامة الوقف (صلي) موضوعة في الآية على كلمــة ﴿سَمۡعِهِمۡ﴾ للدلالة على جواز الوقــف عليها، وجواز وصلها بما بعدها وهي:

---

(٥) الوقف -ويسمى الفصل- والوصل في علوم القرآن أساسهما الزمن أي السكوت وعدم السكــوت، أما الفصل والوصل في علم البلاغة فهما خاصان بالعطف بالواو بين الجمل المُعرَبة وترك ذلك العطف.

مع كون الوصل أولى من الوقف.

وجواز الوقف على اعتبار أنَّ ما حكم به على الأبصار مغاير لما حكم به على القلوب والسمع.

فالذي حكم به على القلوب والسمع هو (الختم) والذي حكم به على الأبصار هو (الغشاوة)؛ لذلك جاز الوقف.

أما جواز الوصل مع أولويته، فمنظور فيه إلى أنَّ كلًا من الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار، من الموانع التي حالت بين الذين كفروا وبين الانتفاع بما أنزل الله على رسوله من الإنذار والتخويف إذا لم يؤمنوا، ويتبعوا هدى الله.

وكان الوصل أولى من الوقف؛ لأن في الوصل إسراعًا إلى اكتمال ذكر تلك الموانع التي حالت بينهم وبين الإيمان بالله وما أنزله على رسوله.

والآية التي قبل هذه الآية مهَّدتْ لتصور هذا الفهم وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦)

فكان عدم الإيمان نتيجة لانغلاق حواسهم ومداركهم أمام الهدي الذي جاء به محمد ﷺ مع ملاحظة أن كلًا

مـن الجملتين خبرية، وجـاء حكم الوقـف والوصل بينهما لاعتبارات بلاغية أخرى غير معنى (الخبرية).

العلامة الثالثة (قلى):

وظيفـة هذه العلامـة تتفـق ووظيفة العلامـة (صلي) من جهة، وتختلف معها من جهة أخرى.

تتفق وظيفتهما في جواز الوقف والوصل، وتختلف وظيفة (قلي) عن وظيفة (صلـي) في أن الأولى يكون الوقف معها أولى، أما الثانية فيكون الوصل معها أولى كما تقدم.

والشاهد الذي ذكره كتبةُ المصاحفِ الشريفة على المراد من العلامة (قلي) هو قوله تعالى:

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾

(الكهف: ٢٢)

العلامـة (قلي) في هـذه الآية موضوعة فـوق حرف اللام الأخير من كلمة ﴿قَلِيلٞ﴾.

وترمـز إلى جـواز الوقف عليهـا، وجواز وصلهـا على ما بعدها أي بـ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾

وتشـير (قلـي) إلـى أن الوقـف علـى ﴿قَلِيلٞ﴾ أولى من وصلها بما بعدها، وإلى هنا تنتهي مهمة علماء علوم القرآن.

أما أسـرار ولطائف أولوية الوقوف على الوصل فتظهر من

النظر الدقيق في الجملتين معًا، وعلى النحو الآتي:

الجملة ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

جملة خبرية لفظًا ومعنى، والجملة

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾

جملة إنشائية لفظًا ومعنًى، فبين الجملتين إذن نوع تغاير واختلاف، كان هو السبب في تقديم الوقوف وأولويته على الوصل. ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ١٣)

العلامة (قلي) موضوعة على نهاية كلمة ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ للدلالة على جواز الوقف عليها، ووصلها بما بعدها، وهو

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

مع أولوية الوقوف على الوصل.

وجواز الوقف والوصل كان على أساس أن الجملة الثانية

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

تعقيب حاسم على قول المنافقين:

﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

يصفون أتباع محمد ﷺ من أمثال أبي بكر وعثمان وغيرهما بالحماقة والطيش.

فــرد الله عليهــم وصفهــم للمؤمنيــن بالســفاهة، حاصرًا الوصــف بالســفه فيهم هــم لا يتعداهم إلــى غيرهــم، مُبرِّئًا المؤمنين منه.

فمَــن فصــلَ بين الجملتين فقــد صحَّ أداؤه وحَسُــنَ، ومن وصل بينهما صحَّ أداؤه وحَسُنَ.

أما الوقــف فهو أولى من الوصل، وهذه الأولوية يكشــف سرها الدقيق النظرُ المتأني في الجملتين، وذلك على النحو الآتي:

الجملة الأولى:

﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

كلام قاله المنافقون، حكاه الله عنهم.

أما الجملة الثانية:

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

فهي كلام الله -عز وجل-.

إذن: فبيــن الجملتيــن تغايــرٌ واضــحٌ، هذا التغير حسَّــن الوقف على الوصــل زيادة في التمييز بين كلام الله الخالص، وبيــن كلام المنافقين الذي حكاه الله -عز وجل- عنهم. أمَّا الوصــل ففيه إيهامٌ خاطفٌ إلى أن الجملــة الثانية من تمام ما حكاه الله عن المنافقين، والأمر ليس كذلك.

العلامة الرابعة (∴ ∴):

وتسمى هذه العلامة عند علماء علوم القرآن (علامة تعانق الوقف) بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقوف على الآخر.[٦]

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى[٧]:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ∴ أَرْبَعِينَ سَنَةً ∴ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (المائدة: ٢٦)

وهذه العلامة تمتاز بأنها مزدوجة لا مفردة مثل بقية علامات الوقف الخمس الأخرى.

ومعناها المتصل بالأداء التلاوي للقرآن هو عدم تكرار الوقف على الموضعين اللذين توضع فوقهما، فإذا وقفتَ على الأول فلا تقفْ على الثاني، وهكذا.

أما اللطائف والأسرار في منع تكرار الوقف على الموضعين، فإنه يتجلى في التأمل في معنى الآية الكريمة، وهذا على النحو الآتي:

لو وقفَ قارئُ القرآن على كلمة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثم وقف على كلمة ﴿سَنَةً﴾ لترتَّب على هذا الوقف المتكرر انقطاع

(٦) راجع التعريف بمصحف المدينة المنورة.

(٧) عدلنا عن الشاهد الذي ذكره كتبة المصحف إلى هذا الشاهد؛ لأنه أوضح في الدلالة على المراد.

صلـة ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ بما قبلها وبما بعدهـا ، وهذا لا يصح تلاوةً ولا معنًى ؛ لأنها -أعني كلمة : ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾- لا بد لهـا مـن كلام تتعلق به ، وهـي إذا انفردت لا تكفـي للدلالة على معنى يحسـن السـكوت عليه ، لا من المتكلم ، ولا من السامع ؛ لأنها ظرف زمان ينبغي أن يتعلق بغيره في الكلام .

أما إذا وُقفَ على الموضع الثاني دون الأول ، هكذا

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

فيكون المعنى تامًا ؛ لأن ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

تكون ظرفًا للتحريم المدلول عليه بـ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾

وكذلك إذا وُقفَ على الموضع الأول دون الثاني ، هكذا :

﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

وتكون ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

ظرفًا أو مفعولًا فيه للتيه في الأرض .

فأنـت ترى أن المنع من الوقف علـى الموضعين معًا كان من أجل صحة المعنى ، فهو عنصر أصيل من عناصر الدلالة ، واسـتقامة البيان ، مثل كل ما في الرسم العثماني للمصحف الشـريف ، ومن لم يُحِطْ علمًا بهذه اللطائف والأسرار يتوهم أنَّ ما في الرسـم العثماني من (خصوصيات) انفرد بها رسم المصحف ، مظهرٌ من مظاهر الترف ، لا معنى لها في نفسـها ولا في غيرها .

ومن هنا جاءت الدعوة المشبوهة لإعادة كتابة المصحف بالخط العام أو الإملائي الحديث.

ولا يشفع لهؤلاء المنادين بهذه الدعوة حُسْنُ نيتهم؛ لخطورة ما يدعون إليه وفساده.

العلامة الخامسة (لا):

هذه العلامة إذا وُجدت موضوعةً فوق نهاية كلمة في آية، كان معناها الرامزة إليه هو: منع الوقف على تلك الكلمة، بل توصل في التلاوة بما بعدها، ولها مواضع كثيرة في كتاب الله العزيز، والشاهد الذي ذكره كتبة المصحف الشريف لتوضيح المراد من هذه العلامة، هو قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٣٢)

إذا رجعت إلى المصحف في الموضع المشار إليه، وجدت هذه العلامة (لا) موضوعة فوق نهاية كلمة ﴿طَيِّبِينَ﴾ لتحذر قارئ القرآن من الوقوف فوق نهاية هذه الكلمة، بل يوصل بما بعدها بدون فاصل زمني يذكر.

هذا ما يراد من هذه العلامة من حيث وجوه الأداء اللفظي (التلاوة) لمفردات القرآن وتراكيبه، ولا ترى كتبةَ المصحف يخطون خطوة واحدة بعد بيان هذه المهمة، وهي

كمـا يقول بعض الدارسـين تمثل القشـرة السـطحية لتلاوة القرآن المجيد.

أمـا دقائق ولطائف وأسـرار منع الوقف مـع هذه العلامة، فهي تتعـدد بتعدد مواضـع ورودها في الذكـر الحكيم، ولا تنحصر في لطيفة واحدة.

وبيان هذه اللطائف والأسـرار أحرى بأن يكون مهمة علم البلاغة والبيان ومباحث الإعجاز القرآني الأدبي، وفي سبيل الوصول إلى لطائف منع الوقف نسأل هذا السؤال:

لماذا يمتنع الوقف على كلمة ﴿طَيِّبِينَ﴾ في هذه الآية؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن كلا مـن كلمتي ﴿طَيِّبِينَ﴾ و﴿يَقُولُونَ﴾ التي بعدها حالان من حيث الحكم الإعرابي.

فـ ﴿طَيِّبِينَ﴾ حـال مـن الضمير ﴿هُمُ﴾ فـي قولـه: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾، و﴿يَقُولُونَ﴾ حـال مـن ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ في قوله: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

الأولى: ﴿طَيِّبِينَ﴾ حال من المفعول، وهم المتوفون.

والثانيـة: ﴿يَقُولُونَ﴾ حال مـن الفاعل، وهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ والحـال وصف في المعنى ووصف الفاعـل، والفاعل عمدة في الجملـة، إذا فُصـل عـن صاحبه بالسـكوت عقـب ذكر وصف

المفعــول، كان في ذلك نــوع إخلال بكمال البيــان، فلذلك لا يقال هنا:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾

ثم يسكت القارئ، ثم يقول بعد لحظة

﴿يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾

وإنمــا يواصل تلاوة الآية بلا فاصــل زمني بين الموصوف ﴿ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ وبين وصفه ﴿يَقُولُونَ ﴾.

وبقيت لطيفة أخرى في منع الوقف هنا، وهي الإسراع إلى ذكر البشرى التي يبشرها الملائكة، لمن يتوفونهم من عباد الله الصالحين.

وهذه البشرى تتكون من جزأين:

الأول :سلام عليكم.

والثانــي: ادخلــوا الجنة، والوقف علــى ﴿طَيِّبِينَ ﴾ يؤخر هذه البشــريات بمقدار زمــن الفصل الســكوتي بين كلمتي ﴿طَيِّبِينَ ﴾ و﴿يَقُولُونَ ﴾.

وللزمن في علم البلاغة ميزان دقيق حساس، ذو شأن عظيم.

ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾

(التوبة: ٣)

العلامة (لا) موضوعة فوق نهاية كلمة ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ قبل كلمة ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾.

ومعناها منع الوقوف على كلمة ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ تلاوة.

أما سر أو لطيفة هذا المنع، فلأن «رسول» معطوف على مضمون جملة:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

أو الواو التي قبل (رسوله) للاستئناف.

وإن كان التقدير في المعنى: (ورسوله بريء منهم) فالبراءة من المشركين حاصلة من الله، ومن رسوله.

وكمال البيان هنا يتوقف على وصل ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بما قبله، فإذا تم الوقوف على ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ حدثت جفوة عارضة بين البراءتين، لذلك امتنع الوقف هنا لئلا يقطع بين النظيرين، وهما براءة الله من المشركين وبراءة رسوله منهم.

العلامة السادسة (مـ):

هذه الميم الصغيرة رمز في علوم القرآن إلى الوقف اللازم ولها مواضع عديدة في الذكر الحكيم، والشاهد الذي ذكره كتبة المصحف الشريف على توضيح المراد من هذه العلامة تلاوة وهو :لزوم الوقف، هو قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ (الأنعام: ٣٦)

يعني أن قارئ هذه الآيـة، ونظيراتها، يلزمه الوقوف على كلمـة ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ الموضوع علامة (مـ) على نهايتها. هذا من حيث التلاوة، أما سر ولطيفة هذا الوقف اللازم من حيث المعنى فسيتضح من الآتي:

من دقق النظر في الآية يظهر له أن معنى الجملة الأولى:

﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾

هـو قصر الاسـتجابة لنـداء الحق علـى ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ دون غيرهم، قصر صفة (الاسـتجابة) على موصوف ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾، ولـو لم يقف القـارئ على ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ بل وصل بها قوله تعالى:

﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾

لَأَوْهَم هذا الوصل فسـاد المعنى، لأنه يلزم منه أن الموتى شركاء في الاستجابة لنداء الحق للذين يسمعون، ولأوهم أن الواو في ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ واو عطف تُشـرك ما بعدها، (الموتى) مع ما قبلها ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ في الحكم وهو الاسـتجابة مع أن هذه الواو اسـتئنافية تخص ما بعدها بالحكم المحكوم به عليها.

فتأمـل مـا يؤديـه هـذا الوقـف اللازم مـن خدمـة المعنى ورعايته، حتى لا يلتبس على بعض الأفهام.

ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾

(النساء : ١٧١)

العلامة موضوعة على نهاية كلمة ﴿وَلَدٞۘ﴾ إشارة إلى لزوم الوقف عليه في التلاوة، أما ما يدل عليه الوقف من حيث المعنى، فهو أن من يتلو هذه الآية إذا لم يقف على كلمة ﴿وَلَدٞۘ﴾ ووصلها بما بعدها هكذا:

﴿وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾

لأوهم هذا الوصل أن الولد المنفية نسبته لله هو ولد له ما في السماوات والأرض، ويترتب على هذا من حيث الوهم أنه لا مانع من أن يكون لله ولد ليس له ما في السماوات والأرض؟! والمعنى معنى فاسد كما ترى.

أما الوقف على ﴿وَلَدٞۘ﴾ فقد أفاد من أول الأمر نفي الولدية المدعى نسبتها لله نفيًا مطلقًا.

كما أفاد أن الضمير المجرور في ﴿لَّهُۥ﴾ الثانية في الآية هو كناية عن اسم الجلالة (الله)، أما مع عدم الوقف فقد يقع في بعض الأفهام الموهومة أن هذا الضمير لـ ﴿وَلَدٞۘ﴾ وليس لله.

من أجل محو هذه الهواجس الباطلة كان الوقوف على كلمة ﴿وَلَدٞۘ﴾ لازمًا تلاوة حماية للمعنى من الفساد.

نكتفي بهذه الأمثلة في بيان لطائف وأسرار علامات الوقف في الذكر الحكيم وما أكثرها، وما أروعها، وما أحراها أن تدخل في وجوه الإعجاز للقرآن الكريم، على أن يسمى بـ «الإعجاز الخطي»، وأن يوليها العلماء عناية تليق بها، وحبذا لو فكرنا في عمل تفسير جديد للقرآن، يكون مقصورًا على بيان لطائف الرسم العثماني للمصحف الشريف بادئين بعلامات الوقف.

-أما الفرق بين الوقف الممنوع والوقف اللازم، فيمكن بيانه في الآتي:

إذا رجع القارئ الكريم إلى الأمثلة الأربعة، المذكورة في مبحثي الوقف الممنوع والوقف اللازم تبين له:

أن الوقف الممنوع يؤدي عدم مراعاته إلى خلل عارض في كمال المعنى المراد.

أما الوقف اللازم فيؤدي عدم مراعاته إلى إيهام عارض من فساد المعنى.

فالممنوع عدم مراعاته أخف ضررًا من عدم مراعاة اللازم.

القسم الثاني:
خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة

حذف وزيادة الواو:

١- حذف الواو:

من الخصوصيات الملحوظة في الرسم العثماني للمصحف الشريف التي لم ترد في غيره من مناهج الكتابة خصوصيتان متعلقتان بحرف الواو وهما :

-حذف الواو لغير علة نحوية أو صرفية.

-زيادة الواو لغير علة لغوية.

والمواضع التي حذفت فيها الواو هي أربعة أفعال في أربع آيات في أربع سور وهي على الترتيب المصحفي :

الموضع الأول:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾

(الإسراء : ١١)

الموضع الثاني:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

(الشورى : ٢٤)

الموضع الثالث:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾

(القمر: ٦)

الموضع الرابع:

﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾

(العلق: ١٨)

أعد النظر في هذه الأفعال الواردة في الآيات الأربع وهي: ﴿يَدْعُ﴾ في سورتي الإسراء والقمر و﴿وَيَمْحُ﴾ في سورة الشورى و﴿سَنَدْعُ﴾ في سورة العلق فإنك ترى الواو قد حذفت من آخر هذه الأفعال وأن حذفها لم يكن لعلة نحوية حيث لم يتقدم على أي فعل منها عامل جزم يقتضي حذف هذه الواو ولم يكن لعلة صرفية إذ لا مانع صرفيًا من مجيء هذه الأفعال كاملة الأصول هكذا: يدعو، يمحو، سندعو.

ومع هذا لم يأت هذا الحذف اعتباطًا خاليًا من الدلالة على معنى.

إذن، فلماذا حذفت الواو من هذه الأفعال؟

وما هي اللطائف والأسرار التي يرمز إليها هذا الحذف؟

أجاب الإمام الزركشي على هذا السؤال إجابة مجملة فقال: «وقد سقطت – يعني الواو – من أربعة – أفعال تنبيهًا على

سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود »[8].

فهذه ثلاث لطائف تضمنها هذا الكلام دل عليها الحذف هنا وهي:

سرعة وقوع الحدث المدلول عليه بالفعل المحذوف (واوه).

يسر وسهولة الفعل على الفاعل.

سرعة وشدة قبول الطرف الأدنى المنفعل بهذا الفاعل المتأثر به.

وبيان ذلك في الآتي:

آية الإسراء جاء فيها:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾

بعض المفسرين كالزمخشري قال: إن المراد بالإنسان في الآية هو الكافر وذكر رجلًا معينًا من الكفار[9] بيد أن حمل المعنى على جنس الإنسان وأن القرآن هنا يتحدث عن طبيعة البشر – عامة – هو الأولى لا حصر المعنى في طائفة بعينها ولا في شخص بعينه ولفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في الآية يدل دلالة قوية على العموم والشمول.

---

(٨) البرهان في علوم القرآن ١/٣٩٧.

(٩) الكشاف ٢/٤٤٠.

وقد ورد هذا اللفظ في الآية مرتين في صدر الآية وفي عجزها هكذا:

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ - ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

إذا تقرر هذا فإن في الآية الكريمة كناية عن جهل الإنسان بعواقب الأمور وسرعة تلهفه وإلحاحه على حصول المنافع دون تريث أو تروٍ.

فهو شديد العجلة بالدعاء غير مدرك إن كان ما يدعو به لنفسه نافعاً له أو ضارًا به.

من أجل ذلك حذفت الواو من الفعل ﴿وَيَدۡعُ﴾ الذي أسندها النظم القرآني المعجز للإنسان للدلالة على طيش هذا الإنسان فيكون دعاؤه بالخير لنفسه في الظاهر دعاء عليها بالشر وهو لا يدري؛ لأنه عجول جهول.

وجاءت فاصلة الآية مؤكدة لهذا المعنى الذي أومأ إليه صدرها.

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾

وقد تحقق في هذه الآية لطيفتان من اللطائف الثلاث التي نص عليها الإمام الزركشي فيما تقدم وهما:

سرعة الدعاء بالخير في الظاهر.

يسر الدعاء وسهولته لشدة الرغبة في حصول المدعو به.

وحذف الواو في الفعل ﴿يَدۡعُ﴾ كان رمزًا لهذه الدلالة.

وكذلك الشأن في الفعلين المناظرين لهذا الفعل أعني الفعل:

﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ في سورة القمر والفعل ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ في سورة العلق.

فالأمر النكر الذي يدعو إليه الداع في قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾

في آية القمر هو البعث والنشور أي قيام الساعة وهذه الدعوة ستكون مذهلة في سرعتها وفيها يقول رب العزة في السورة نفسها

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

(القمر : ٥٠)

ويقول عنها في سورة النحل:

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(النحل: ٧٧)

فحذف الواو من هذا الفعل كان رمزًا للدلالة على لطيفتين كذلك من اللطائف الثلاث التي ذكرها الإمام الزركشي وهما:

سرعة وقوع الفعل من الفاعل.

سرعة وشدة انفعال الطرف الأدنى وهم الموتى وخروجهم من القبور لإجابتهم دعوة الداع إلى ذلك الشيء النكر.

وهذا ما يؤكده قوله تعالى في سورة المعارج:

﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴾

(المعارج: ٤٣)

وفي هذه الآية لطيفة أخرى مرموز إليها بعلامة الوقف (مـ) فوق حرف الميم من (عنهم) وهي علامة الوقف اللازم الذي تقدم الحديث عنه.

وهي تقتضي الوقوف على ﴿عَنۡهُمۡ﴾ لحظة من الزمن حتى لا يتعلق تولي الرسول عنهم بيوم القيامة لأن التولي عنهم يكون في الدنيا، وإذا وصل القارئ صدر الآية بعجزها لأدى وصله إلى إيهام خاطف بأن القول يكون يوم القيامة، وهذا غير وارد ويؤدي إلى خلل في أصل المعنى.

أما الوقف على ﴿عَنۡهُمۡ﴾ فيزيل هذا الإيهام العارض ويفصل فصلًا تامًا بين حدث يقع في الدنيا وأحداث تقع في الآخرة.

وللقارئ أن يقوم بهذه التجربة بنفسه فيقرأ الآية مرة بالوقف على ﴿عَنۡهُمۡ﴾ ومرة بوصلها بما بعدها فإنه سوف يتبين له الفرق الواضح في المعنى: بين الوقف والوصل وهذا من دقائق ما تفيده علامات الوقف من معان آسرة في آيات الذكر الحكيم.

أما آية العلق: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾

فهي مثل نظائرها تدل على سرعة حدوث الفعل وهذه السرعة هي البلاغة بعينها في المقام الذي وردت فيه هذه الآية وهذا يتجلى لنا إذا ربطنا هذه الآية بالآيات التي كانت هي واسطة عقدها وهي:

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب﴾

(العلق: ٩-١٩)

هــذه الآيات تحكي مواقف عناد عنيفة تعترض طريق الدعوة وتقف حجر عثرة أمام من يعبد الله -عز وجل- وتبلغ الخصومة مداهــا ويغتر خصوم الدعوة بما لهم من قوة وســلطان مادي في الأرض فــكان من المناســب أن يكــون الوعيد شــديدًا والبطش بهؤلاء الطغاة قريبًا(١٠).

ومن أجل هذا هددهم الله تعالى بســرعة انتقامه منهم وبطشه بهم.

وجاء حذف الواو من الفعل ﴿سَنَدۡعُ﴾ رمزًا على ســرعة قدرة الله فــي الانتقــام منهــم والانتصار للحق الذي أرســل به رســوله الكريم.

هذه هي لطائف وأسرار حذف الواو في الفعل «يدع - سندع»

إنها حذوفات قائمة مقــام الكلمات في الدلالة على المعانى المرادة منها وأظهرها سرعة وقوع الفعل في الوجود.

ومما يعضد هذا:

أن المقــام إذا خــلا من إرادة الســرعة المشــار إليهــا فإن هذا

(١٠) انظر القصة بتمامها في كتب التفسير (تفسير سورة العلق).

الفعل يأتي كامل الأصول لا يحذف منه شـيء قط إلا إذا اقتضى حـذف الواو فيـه عامل من عوامل الإعـراب كأن يكون فعل أمر مثل قوله تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

(النحل: ١٢٥)

أو فعلًا منهيًا عنه كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾

(يونس: ١٠٦)

فإذا لم يقتض حذفه عامل إعرابي رسم في المصحف الشريف على الأصل كقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

(يونس: ٢٥)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

(فاطر: ٦)

جاء الفعـل «يدعو» في الموضعين علـى الأصل مثبت الواو لخلـو الكلام من عامل إعرابي يقتضـي حذفه ولعدم إرادة معنى السرعة.

أما الموضع الرابع وهو ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾

وهو ما ورد في آية الشورى (٢٤) فإن الواو حذفت من الفعل

﴿وَيَمۡحُ﴾ ورمز بهذا الحذف إلى معنى يسر الفعل على الله – عز وجل– يعني أن محو الباطل أمر هين عند الله وقدرته عليه أسرع ما تكون السرعة فهو جار مجرى حذف الواو في ﴿يَدۡعُ﴾ و﴿سَنَدۡعُ﴾.

ويضاف إلى هذه اللطيفة لطيفة أخرى هي سرعة وشدة قبول الباطل لمحو الله إياه فلا يستعصي عليه.

هذا هو دلالة حذف الواو في هذه الأفعال الأربعة.

بيد أن هذا الموضع تبدو فيه شبهة عطفه على الفعل المجزوم قبله، الواقع جوابًا للشرط في قوله تعالى:

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾

فقد يتبادر إلى الذهن أن الفعل «يمح» معطوف على ﴿يَخۡتِمۡ﴾ الذي هو جواب شرط ﴿فَإِن يَشَإِ﴾ وهذا مدفوع والمفسرون مطبقون على أنه غير معطوف[11]

بدليل أن هذا الفعل «يمح» عطف عليه فعل مرفوع جاء بعده وهو ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾

هذا وجه، ووجه ثان يؤكد عدم عطف الفعل «يمح» على الفعل ﴿يَخۡتِمۡ﴾ هو أن الفعل «يختم» هو وحده مقيد بمشيئة الله، أما الفعلان «يمح» و«يحق» فهما غير مقيدين بالمشيئة لأن الله تعالى دائمًا خاذل للباطل، ناصر للحق وبهذا يسلم لنا

---

(١١) انظر الكشاف للإمام الزمخشري ٤٦٨/٣، وتفسير الإمام أبي السعود ٣١/٨.

القول بأن حذف الواو في الفعل «يمح» ليس له سبب إلا الدلالة على اللطيفتين اللتين أشرنا إليهما من قبل وهما: قدرة الله الفائقة في الإسراع لمحو الباطل وتأثر الباطل نفسه في أسرع ما يكون وسرعة محوه بقدرة الله -عز وجل- [١٢] ويدل على هذا بكل وضوح:

مجيء هذا الفعل غير محذوف منه الواو في قوله -عز وجل:

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

(الرعد: ٣٩)

لم يحذف الواو من الفعل ﴿يَمْحُواْ﴾ هنا لأن المقام خلا من إرادة السرعة فجاء الفعل مرسومًا بأصوله الثلاثة: الميم - الحاء - الواو.

وبهذا يتبين أن ما في رسم المصحف من خصوصيات إنما هي سمات رمزية في قوة الكلمات في الدلالة على المعاني المرادة منها وأنها ليست طرائق مختلفة لكتبة المصحف في صدر الإسلام وأن هذه الرموز مع معانيها التي تدل عليها وجوه للإعجاز القرآني لم تأخذ حقها من الدراسة والذيوع وأن القرآن ينبغي أن يظل على ما توارثناه جيلًا بعد جيل من عصر الرسالة حتى تقوم الساعة.

---

(١٢) من المراد من معنى الفعل «يختم»؟ راجع كلًا من: تفسير النسفي (٤/١٠٧)، تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (١٤/٢١٦)، تفسير القرطبي (١٦/٣١).

٢- زيادة الواو:

باستقراء آيات القرآن الكريم نجد زيادة حرف الواو أكثر من حذفه من بنية الكلمة، كما نجد هذه الزيادة تتوارد على الأسماء والأفعال وهي في الأسماء أكثر منها في الأفعال.

ونجد زيادة الواو في الرسم الشريف أتت على صورتين:

إحداهما: الزيادة في وسط الكلمة سواء كانت الكلمة اسمًا أو فعلًا.

والأخرى: زيادة الواو في طرف الكلمة اسمًا كانت أو فعلًا كذلك.

ولم يخل موضع من جميع مواضع زيادتها من معنى لطيف أو سر رقيق تراه يتلألأ كضوء الفجر في الأفق الرحيب.

وهذا ما سنراه من خلال الأمثلة الآتية بادئين بأمثلة زيادة الواو في الأفعال مع ملاحظة أن هذه الزيادات تلحظ بالبصر ولا تنطق باللسان وأنها زيادة باعتبار الخط أو الكتابة لا من حيث المعنى.

١- زيادة الواو في وسط الفعل:

زيادة الواو في وسط الفعل، وردت في الكتاب العزيز في موضعين في فعل واحد تكرر فيهما.

الموضع الأول: هو قوله تعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

(الأعراف : ١٤٥)

والموضع الثاني : قوله تعالى :

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

(الأنبياء : ٣٧)

الفعـل المزيدة فيه الـواو – كما ترى – فعل مضارع من مادة واحـدة هي : الراء والهمزة ، والألـف المقصورة « رأى » وقد ورد في صيغة خطاب الجمع المذكر .

وقد زيدت فيه الواو في وسـطه ، فاصلـة بين أول الفعل وهو الهمزة من « أرى » لأنه فعل متعد ، وبين « الراء » التي وقعت ثانية باعتبار همزة التعدية ، وكان القياس أن يكتب هذا الفعل هكذا : (سـأُريكم) بضمة فوق الهمـزة فعُدل عنها أي عن الضمة ، إلى الـواو فصار الرسـم هكذا : ﴿سَأُو۟رِيكُمْ﴾ فـي الموضعين فما هو سر هذه الزيادة يا ترى ؟[١٣]

إن سـرها هو الرمز إلـى وضوح الرؤية وقوتهـا ، والمقام في الموضعين يقتضي :

---

(١٣) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ١/٣٨٦ .

أن تكون الرؤية واضحة وقوية، وبيان ذلك:

في الموضع الأول يحث الله قوم موسى أن يعملوا بما أنزله الله عليه، ورغبهم فيه ثم لوح لهم بأنه سيريهم دار الفاسقين ليكون هذا دافعًا لهم على التمسك بما جاءهم به رسول الله موسى عليه السلام.

وهذا يتضمن تخويفا وتهديدا لبني إسرائيل إذا هم أعرضوا عن أوامر الله ونواهيه.

وفي الموضع الثاني، ورد هذا الفعل في معرض الحديث عن الذين كفروا، وهم يستهزئون برسول الله ﷺ، وينصرون آلهتهم عليه فاقتضى المقام أن تعلو نبرة التهديد والوعيد، وأن الانتقام منهم آت لا محالة.

من أجل هذين الغرضين؛ زيدت الواو في الفعل في الآيتين، وقامت هذه الزيادة مقام كلمة منطوقة تؤدي هذا المعنى.

وبذلك اجتمع في الفعل سمتا إطناب وإيجاز لا عهد لكلام البشر بهما[١٤].

الإطناب حاصل بزيادة الواو، والإيجاز حاصل بدلالة حرف واحد على معنى عظيم.

---

(١٤) الإطناب: أن تكون الألفاظ أكثر من المعنى المراد وهو: الإطالة في الكلام. والإيجاز: أن تكون المعاني أكثر من الألفاظ أو هو تقصير الكلام مع وفرة المعاني.

وهذا ملمح جديد للإعجاز القرآني من الملامح العديدة التي تستشف من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

٢- زيادة الواو في أطراف الأفعال:

هذه هي الصورة الثانية لزيادة الواو في الأفعال، وورودها في القرآن الكريم أكثر من ورود الصورة الأولى.

ومن شواهدها فيه الأمثلة الآتية:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾

(يونس: ٣٤)

في هذه الآية أمر الله رسوله أن يوجه إلى المشركين هذا السؤال في صورة استفهام إنكاري توبيخي: هل يوجد من بين أصنامهم وآلهتهم من يستطيع أن يبدأ الخلق من العدم؟ ثم يعدمه بعد إيجاده؟ ثم يعيده موجودًا بعد إعدامه؟

ثم أن يثبت لهم سواء أجابوا أم لم يجيبوا، أن الله وحده – لا غيره ولا بمعونة غيره – هو القادر على بدء الخلق وإعادته.

أعد النظر في الآية الكريمة، تجد الفعل المضارع ﴿يَبْدَؤُا۟﴾ ورد في الآية مرتين، وتجد أن هذا الفعل زيدت فيه الواو في طرفه هكذا:

﴿يَبْدَؤُا۟ – يَبْدَؤُا۟﴾ مخالفًا الخط العام، أو الخط الإملائي الحديث حيث يرسم فيه هذا الفعل هكذا: «يبدأُ» بهمزة فوق الألف، وفوق الهمزة ضمة، سواء رُسمت هذه الهمزة في الخط،

أم لم تُرسم وهي في كلتا الحالتين لها أثر في النطق إذ لم ينصب الفعل ناصب أو يجزمه جازم.

وزيادة الواو ترمز إلى معنى كبير، هذا المعنى هو الإِيماء إلى عظم الخلق وفخامتـه وضخامته، فهو ليس بدءا يمكن لغير الله أن يمارسـه أو يمارس أدنى شـيء منه وهذا بإِقرار جميع العقلاء حتى المشركين أنفسهم.

إذن، لـم تجئ هذه الزيادة عبثا، وليسـت هي رؤية أو منهجًا خاصًا ببعض كتبة الوحي كما يحلو لبعض الناس أن يقول.

فحاشـا لله، وألف حاشـا أن يكون في كتابه العزيز حشـو لا دلالة له على معنى فنحن البشـر نتحاشـى في ما نكتب أو نقول أن يكـون في ما نكتبه أو نقوله فضول يخلو من الدلالة، فكيف يـرد في خواطر بعضنا أن يكون في هذا الكتاب المعجز ما ننزه نحن كلامنا منه؟!

٢- ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

(النور: ٨)

وردت هـذه الآيـة في بيان الحكم الشـرعي فـي اتهام الزوج زوجتـه بالزنـا، ولم يكن معه شـهود غير نفسـه، فـإِن عليه أن يقسم أربع مرات بالله أنه صادق، ويقسم مرة خامسة يستوجب فيها لعنة الله على نفسه إن كان كاذبا فيما قال.

أما الزوجة فلها أن ترد عليه أيمانه بخمسة أقسام، الأربعة

الأولى منها تقسم فيها على أنه كاذب فيما رماها به من جريمة الزنا.

أما المرة الخامسة فتقسم فيها مستوجبة غضب الله عليها إن كان صادقًا.

ثم يفرق بينهما على الفور، ولا يتوارثان، ولا يجوز لهما أن يتزوجا من بعضهما مرة أخرى مدى الحياة، هذه الواقعة تسمى في الفقه بـ« اللعان » أو الملاعنة [١٥] فإذا لم ترد عليه أيمانه؛ وجب إقامة حد الزنا المحصن عليها، وهي الرجم المتتابع بالحجارة حتى الموت، فهي عقوبة شديدة الإيلام؛ لأنها تحدث في أثنائها موتا بطيئا شنيعا.

أما إذا ردت عليه أيمانه فقد نجاها هذا الرد من تلك العقوبة العاجلة الشديدة الإيلام.

ومن أجل هذا زيدت الواو في الفعل ﴿ وَيَدْرَؤُاْ ﴾ وجاءت هذه الزيادة رمزا إلى تفظيع العقوبة التي توقع عليها والأثر العظيم الذي يعود عليها من الأيمان الخمسة التي تصون دمها من الإهدار، وتحفظ حياتها من الإماتة.

ومرة أخرى نقول: إن زياد الواو - هنا - قامت مقام كلمة أو جملة دلت على تفخيم الأثر المرتب على إقسامها خمس مرات تدفع بها اتهام زوجها إياها بالزنا ولم - ولن - تأتي زيادة الواو

---

(١٥) انظر: أسهل المدارك - شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك (جـ ٢ ص١٧٣).

هنـا ولا غير هنـا، عبثا لا معنى لها، وهي مثـل ما تقدم جمعت بين سمتي الإِطناب والإِيجاز.

ولـم يتوقف الأثـر العظيم لرد المرأة أيمـان زوجها الملاعن بهـا على دفع العذاب المـادي عنها، بل يتعـداه إلى دفع ما هو أشـد منه نقيصـة تصيبها وتصيب عشـيرتها مـن بعدها، وهو سـوء سـمعتها، وإطلاق الألسنة الناهشة في سـيرتها، الطاعنة في عفتها وشرفها.

فزيدت الواو في الفعل ﴿ وَيَدْرَؤُاْ ﴾ للإيحاء بكل هذه المعاني المكثفة، المدلول عليها بحرف واحد هو الواو.

٣- ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ (هود: ٨٧)

في هذه الآية يجادل قوم شـعيب شعيبا، لما نهاهم عن آفتين انتشرتا في معاملاتهم المالية، وهما التلاعب في مقادير الكيل والوزن، حيث كانوا يبخسـون الناس أشياءهم، والظاهر أن هذه المظالـم كان يقوم بهـا الأغنياء ضد الفقراء، أو السـادة الذين يطلق عليهم القرآن وصف: «الملأ».

وقد اعتبر الملأ من قوم شـعيب نهيه هذا تدخلًا في شئونهم الشخصية ومصادرة لحرياتهم، وسلبا لها منهم: سلبا لحرياتهم الدينية المتمثلة في عبادتهم ما كان يعبد آباؤهم، وفي تصرفهم فـي أموالهم على الوجه الذي يريـدون؛ لذلك جاءت صرختهم

مدوية في وجه شعيب بدءوها بهذا الاستفهام الإنكاري الاستهزائي :

﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ ؟

﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ ؟

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ ؟

إن لهجة الاحتجاج في كلامهم هذا تبلغ عنان السماء صخبا ، وتملأ ربوع الآفاق دويا ، وكأن شعيبا جاءهم بمنكر من القول وزورا .

فهم كانوا يعتقدون أنهم يملكون حريات واسعة المدى في مجال الاعتقاد والعبادة والتصرفات المالية .

هذا التصور لدى قوم شعيب دل عليه البيان القرآني المعجز بأمرين :

حكاية عبادتهم نفسها .

زيادة الواو في الفعل ﴿نَشَٰٓؤُاْ﴾ بل نكاد نجزم أن زيادة الواو – هنا – دلت على ادعائهم أنهم يملكون حريات واسعة في التصرف المالي دلالة مكثفة بوجه خاص ، حتى لكأنها مقصورة على هذه الدلالة .

ومحال أن تكون هذه الدلالة غير مقصودة من زيادة الواو ؛ لأننا نرى هذا الفعل « شاء » ورد في الذكر الحكيم خاليا من هذه الدلالة في مواضع أخرى ، مثل قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(آل عمران : ٢٦)

وخلو الفعل في الآية في مرّاته الأربع من الواو ؛ لأن المقام يخلو من إرادة التهويل الذي أراده قوم شعيب في جدالهم شعيبا .

وفي هذا إجابة حاسمة على سؤال مؤداه :

لماذا خلت آية (آل عمران) من زيادة الواو في الفعل ﴿تَشَآءُ﴾ في مراته الأربع ، وزيدت تلك الواو في آية هود عليه السلام ؟

أجل : زيدت الواو في آية هود لتصور إلى أي مدى غالى قوم شعيب في إثبات حريات واسعة لأنفسهم ، محال أن تحد منها أو تسلبها صلوات شعيب فلا دخل للصلوات بالتعاملات المادية فهذه نقرة وتلك نقرة - كما يقال - فقد عبر البيان القرآني عن دقائق ما كان يتصوره قوم شعيب وهم يجادلونه في كبرياء وصلف ويظهرون استهزاءهم به وبما يدعو إليه .

فهذه الواو الزائدة خطًا في قولهم ﴿مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ ضوء باهر كشف عن دخائل قوم شعيب ، وما كانت تشي به نبرات أصواتهم ، وملامح وجوههم .

٤- ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾

(الزخرف : ١٨)

هذه الآية جاءت في إطار الرد علي المشركين ، حين قاسموا الله في خلقه فجعلوا لأنفسهم البنين ، ولله- عز وجل -البنات ،

وحكـى عنهم القـرآن هذا في مواضع منها سـورة الزخرف التي قال الله تعالى فيها :

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾

(الزخرف : ١٥-١٨)

يشـنع القـرآن عليهـم أنهم جعلـوا لله النوع الأدنـى عندهم «البنات» وجعلوا لأنفسهم النوع الأعلى «البنون» في اعتقادهم.

أو جعلـوا لله الصنف الأضعف، ولأنفسـهم الصنف الأقوى، فرضوا لله ما لا يرضونه لأنفسهم، وهم وما ملكت أيديهم ملك لله- عز وجل-.

وجـاءت الـواو زائدة فـي الفعـل ﴿ يُنَشَّؤُا۟ ﴾ لافتـة الأذهان والأنظـار إلـى نـوع التربية والتنشـئة التـي تغدو وتـروح فيها «الأنثـى» في مهدها الأول، وما يعقبه مـن مراحل التربية، وكم تحمل هذه العبـارة القرآنية ﴿ يُنَشَّؤُا۟ - فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ من معان لا حد لها، من حياطة الأم والأب لها.

والحلية : الزينة والنعمة [١٦]

وقد جعل الله ﴿ ٱلْحِلْيَةِ ﴾ ظرفا محيطا بها، مبالغة في تصوير المعنى المراد.

---

(١٦) انظر: تفسير الزمخشري المعروف بـ «الكشاف» (جـ ٣ ص٤٨٢).

ثم جيء بالفعل مضعفا ﴿ يُنَشَّؤُاْ ﴾ مسـندا إلى غير المفعول بـه ، الذي هو «الأنثى» المكنى عنه بـ«من» الذي جعل ضميره المستتر فيه «هو» نائب فاعل ، ولم يقل «ينشأ» فيكون هو فاعل الفعل ، لأن التنشئة ليست فعلها ، بل هي فعل «الأسرة» وتضعيف الفعل للدلالة على تكثيف التربية في الزينة والنعمة والنعومة ، وهكذا توفرت لهذه «التربية» المخصوصة عوامل الرعاية وشدة العناية من ثلاثة أوجه :

الأول :إسنادها إلى غير «الأنثى» .

الثاني : تضعيف الفعل للدلالة على تكثيف الرعاية .

الثالث : زيادة الواو ، القائمة مقام كلمة أو جملة دالة على هذه المعاني ويصاحب هذه الدلالة سمتا الإطناب والإيجاز في أداة تعبيرية واحدة ، تراها إطنابا باعتبار ، وإيجازا باعتبار آخر .

٥- ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

(القيامة :١٣)

هذه الآية تحكي بعض ما سيكون يوم القيامة وهو إطلاع الله كل إنسان على ما عمله في الحياة الدنيا ، والنبأ هو الخبر العظيم [١٧] ولذلك لم يرد في القرآن في الحديث عن الغيبيات ، وعن فضل الله في اختلافات الطوائف إلا ما اشتق من هذه المادة (ن - ب - أ) ومنه ما ورد في هذه السورة :

---

(١٧) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن المعروف بـ «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص٢٥٣٥).

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

وجاء هذا الفعل «ينبؤا» مزيدا بالواو، معدولا به عن «ينبأ» كما هو الشأن في الخط الإملائي العام، والحديث إشارة إلى تفخيم المعنى المراد وتعظيمه.

ولولا إرادة هذا المعنى ما زيدت هذه الواو، فهي كمثيلاتها قائمة مقام كلمة أو جملة برأسها، تدل على هذا المعنى، الذي هو التعظيم والتفخيم، والمقام هنا يقتضي هذا، لأن من أعظم الوقائع يوم القيامة إعلام الله العباد بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا بعد أن نسوا ما صنعوه فيها.

لذلك نرى النظم القرآني يحشد عددا من القيم التعبيرية للدلالة على عظمة هذا الحدث وفخامته وتلك القيم التعبيرية هي:

أ- إيثار التعبير بمشتق «ينبؤا» من مادة «ن - ب - أ» دون مادة «خ- ب - ر» لاختصاص الأولى بالخبر العظيم الصادق، دون الثانية.

ب -صياغة الفعل ﴿يُنَبَّؤُا۟﴾ من (نبأ) المضعف دون (أنبأ) المخفف لأبلغية الأول على الثاني لدلالته - أي الأول - على الكثرة دون الثاني.

ج -زيادة الواو، لما تقدم مرات من أنها رمز للتعظيم، ولم تأت في أي موضع من مواضع زيادتها خالية من هذه الدلالة.

ومما يدل على عظمة هذا الحدث، وتعجب الناس منه يوم القيامة قوله تعالى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

وهكذا تبين لنا أن الرسم العثماني للمصحف الشريف فيه تلك الخصوصيات التي نتتبع نماذج منها، لم يرد فيه شيء منها عاريا من اللطائف المذهلة، والأسرار المدهشة مما يصح أن نطلق عليه – غير مغالين – مصطلح: الإعجاز الخطي للقرآن العظيم.

زيادة الواو في وسط الأسماء

-﴿أُوْلُوا۟﴾ و﴿أُوْلِى﴾ و﴿أُوْلَٰتِ﴾

ونبدأ بثلاث كلمات زيدت في وسطها الواو في جميع مواضع ورودها في الكتاب العزيز وهي ﴿أُوْلُوا۟﴾ و﴿أُوْلِى﴾ و﴿أُوْلَٰتِ﴾.

والكلمتان الأولى والثانية وردتا في القرآن في مواضع كثيرة.

أما الثالثة ﴿أُوْلَٰتِ﴾ فوردت مرتين.

وزيادة الواو جاءت في وسط الكلمة كما ترى، وهي في الكلمات الثلاث تدل على معنى واحد عبر عنه علماؤنا الأقدمون رضي الله عنهم بجملة موجزة فقالوا:

«إنها تدل على شدة الصحبة»[18]

واكتفوا بهذه اللمحة، دون أن يتبعوها بشرح أو تفصيل.

- وها نحن أولاء نبدأ من حيث توقفوا، فنقول ومن الله التوفيق:

أرادوا بقولهم إنها تدل على «شدة الصحبة»، قوة الصلة بين المضاف ﴿أُوْلِى - أُوْلُوا۟ - أُوْلَٰتِ﴾ وبين المضاف إليه، والمضاف إليه مختلف من موضع إلى موضع لأن هذه الكلمات الثلاث لا تستعمل إلا مضافة، فهي كلمات ملازمة للإضافة مثل: عندي، ولديّ.

وقبل أن نسوق الأمثلة، ونطبق عليها معنى قوة أو شدة

---

(18) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي 1/ 386.

الصحبة، نشير في العبارات الآتية إلى ضابط بلاغي ينتظم كل مضاف ومضاف إليه في جميع استعمالات لغة القرآن الكريم المعجزة لهذه الكلمات الثلاث، ليكون التطبيق شاملا للأمرين معا، أعني:

قوة الصحبة بين المضاف والمضاف إليه في الكلمات الثلاث.

وهذا الضابط الذي اكتشفناه:

ذلك أننا تتبعنا كل ما ورد في القرآن من استعمال الكلمات الثلاث مضافة وخرجنا من هذا الاستقراء التام بالحقيقة الآتية، التي نصوغها في صورة (قانون) لغوي بلاغي هو الآتي:

«إن لغة القرآن المعجزة لم تضف هذه الكلمات الثلاث ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ و﴿أُوْلَاتِ﴾ إلا إلى ما هو عنصر متأصل في (ماهية) المضاف، وبه يكون تمام الخلق والتكوين، وأن المضاف إليه كيفية نفسية لا يمكن في الواقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه.

أما كلمة ﴿أُوْلِي﴾ فلم تضفها لغة القرآن الحكيم إلا إلى ما هو جزء مادي أو كالجزء المتأصل في ذات المضاف».

وتفصيل كل ذلك يأتي في سوق الأمثلة وتحليلها.

الأمثلة:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾

(آل عمران: ١٣)

أضيفت كلمة ﴿أُوْلِي﴾ في هذه الآية الحكيمة إلى كلمة ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ .

والأبصار هنا تحتمل عند المفسرين معنيين :

أن تكون بمعنى (العقول) .

أن تكون بمعنى العيون الباصرة(١٩) .

والأول هو الأصوب ، أو هو الصواب ؛ لأن المقام لا يشمل كل من له عين باصرة بل المراد أصحاب الفهم الذكي ، والتفكير السديد .

وسواء كان المراد المعنى الأول (العقول) أو المعنى الثاني (العيون الباصرة) فإن زيادة الواو في ﴿أُوْلِي﴾ وهي في الأصل (أُلي) بهمزة مضمومة ، هذه الزيادة رمز بها إلى قوة الصحبة بين المضاف ﴿أُوْلِي﴾ وبين المضاف إليه ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ .

وقوة الصحبة هنا تظهر من عدم انفصال المضاف إليه ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ عن المضاف ﴿أُوْلِي﴾ مع بقاء تمام الخلق ، وهذا الانفصال محال في الواقع إذا كان المراد من ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ العقول .

أما إذا كان المراد (العيون الباصرة) فهي وإن أمكن فصلها فإن تمام الخلق يزول مع هذا الفصل ، كما تقدم في القاعدة المستنبطة من الاستقراء المشار إليه فيما تقدم .

---

(١٩) تفسير أبي السعود ٢/ ١١٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٣٩٦.

وقد أضيفت هذه الكلمة في حالتي الرفع والجر إلى ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ في ثلاثة مواضع أخرى هي:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

(النور: ٤٤)

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

(ص: ٤٥)

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

(الحشر: ٢)

وبالتأمل في المضاف والمضاف إليه في هذه الآيات جميعا تظهر قوة الصحبة بينهما، والتي جاءت الواو المزيدة رمزا للدلالة عليها.

ويظهر أن هذه الواو المزيدة قد سدت مسد جملة كان ينبغي أن تذكر للدلالة على هذا المعنى.

كما يظهر اقتران الفن البلاغي (الجديد) المكون من توارد الإيجاز والإطناب في محل واحد، وهو فن عزيز المنال في غير القرآن الكريم.

وأضيفت كلمتا ﴿أُوْلِي - وَأُوْلُواْ﴾ إلى كلمة (ٱلۡعِلۡمِ) مرات، من ذلك قوله تعالى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

(آل عمران: ١٨)

العلـم الذي أضيفت إليه ﴿وَأُوْلُواْ﴾ كيفية نفسـية وهو ملكة ذهنيـة، لا يمكـن فصلهـا عـن المضـاف، وهـو ﴿وَأُوْلُواْ﴾ ولا يمكن إدراكه منفصلا عن الشـخص (العالم) لأن العلم ممتزج بالعالم امتزاجا عضويا ساريا في كيانه سريان النضارة في العود الأخضـر، هذا هو (قوة الصحبة) بين المضاف ﴿وَأُوْلُواْ﴾ وبين المضاف إليه ﴿ٱلْعِلْمِ﴾.

فأولوا بمعنى (أصحاب) ولم تسـتعمل لغة القرآن المعجزة كلمـة (أصحاب) هنا، بل آثرت عليها كلمة ﴿وَأُوْلُواْ﴾ لما بين (أصحاب) و﴿وَأُوْلُواْ﴾ من فرق دقيق عميق سنبينه بإذن الله في آخر هذا المبحث.

ومـن أجـل الدلالة علـى (قوة الصحبـة) بيـن العلم وما أضيف له زيدت الواو بعد الهمزة، وقبل اللام فسـدّت مسد الجملـة، التي كان ينبغي أن تذكـر للدلالة على هذا المعنى اللطيـف، ولـم تضف إلى العلـم مرة أخرى فهـي فريدة في الذكر الحكيم.

وأضيفـت ﴿أُوْلِي﴾ إلـى ﴿ٱلنَّعْمَةِ﴾ بفتـح النون المشـدة في موضع واحد هو:

﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾

(المزمل: ١١)

والنعمة بفتح (النون المشـدة) غير النعمة بكسر (النون) فهي بالفتح بمعنى (التنعم والترفه والمسرة)[٢٠].

أما (النعمة) بالفتح بدون التشديد فهي بمعنى ما يملك من زينـة الحياة الدنيا وهو ما يكون مفصولا عن مالكه، والأول هو المراد من الآية، وهي المتعة التي يستلذ بها صاحبها.

وهي بهذا المعنى كيفية نفسـية شـعورية، تسري في النفس ممتزجـة بها ولا يمكن فصلها عن الإنسـان حال وجودها فيه، فإذا زالت عنه لا يكون من ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾.

وهذا هو المراد من شـدة الصحبة بين المضاف إليه هنا وهو ﴿ٱلنَّعْمَةِ﴾ والمضاف وهو ﴿أُوْلِي﴾.

ومن أجل هذه اللمحة اللطيفة، زيدت الواو بعد الهمزة وقبل اللام، وأوثرت ﴿أُوْلِي﴾ على (أصحاب).

وإذا قيـل في غيـر القرآن: أصحـاب النعمة بفتـح (النون) وتشـديدها لحدث خلل في المعنى المـراد، ولأوهم هذا القول جواز فصل المتعة والسـرور عن الشـاعر بهما حـال وجودهما فيه، وهذا محال.

أما إذا قيل: (أصحاب النعمة) بكسـر (النون) وتشـديدها فـإن المعنى يكون صحيحـا؛ لأن النعمة بمعنى المال المملوك لا يمتنع فصله وعزله عن مالكه، بل هو مفصول عنه في الواقع.

---

(٢٠) ترتيب القاموس مادة (نعم) ٤/ ٤٠٢ للأستاذ طاهر الزاوي.

وأضيفت كلمتا ﴿أُوْلِي ، وَأُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾

(الأنفال: ٧٥)

أولوا الأرحام: ذوو القرابات من جهة النسب[٢١]، وهي كناية لطيفة عن صلات النسب الناجمة عن الآباء والأمهات، وما تفرع عنهما.

والقرابة اعتبار ذهني معنوي، وكل اثنين أو أكثر بينهما قرابة نسبية فهي معنى لازم بينهما، أو بينهم، لا يمكن بحال إزالة ذلك المعني بأي وسيلة وهذا هو معنى (قوة الصحبة) بين المضاف هنا وهو ﴿أُوْلُواْ﴾ والمضاف إليه، وهو ﴿ٱلۡأَرۡحَامِ﴾.

وبسبب الإلماح إلى هذا المعنى (قوة الصحبة) زيدت الواو بين الهمزة واللام في ﴿أُوْلُواْ﴾ ولا يقال في فصيح الكلام: أصحاب الأرحام، لخلو كلمة (أصحاب) من الدلالة على هذا التلازم المعبر عنه بـ(قوة الصحبة) وسياتي بيان ذلك عند المقارنة بين ما تضاف إليه (أُوْلُواْ–وأُوْلِي) وما تضاف إليه كلمة (أصحاب) في لغة القرآن العظيم.

وقد وردت هذه الإضافة مرة أخرى في لغة القرآن في غير سورة الأنفال:

---

(٢١) تفسير الزمخشري ٢/ ١٧٠.

حيث أضيفت كلمتا (أُوْلُواْ ، وأُوْلِي) إلى كلمة ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في حالتي الرفع والنصب، والتعريف والتنكير (ٱلْقُرْبَىٰ – قُرْبَىٰ) في حالة الرفع والتعريف جاء قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾

(النساء: ٨)

وفي حالة النصب والتنكير جاء قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾

(التوبة: ١١٣)

والدلالة على (قوة الصحبة) بين المضاف والمضاف إليه في الآيتين لا تحتاج إلى بيان؛ لأن القرابة من جهة النسب ملازمة لهما، فالإخوة يظلون إخوة دائما وهكذا جميع القرابات النسبية حيث لا تزول هذه الصلة القوية، لا في حال الحياة ولا في حال الممات، فهم أقرباء أبدا.

والواو المزيدة بين الهمزة واللام هي الرمز الدقيق إلى هذه اللطائف والأسرار العجيبة في كتاب الله العزيز.

وكذلك: ﴿أُوْلِي﴾ مضافة إلى ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في قوله تعالى:

﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾

(النور: ٢٢)

وهذه المواضع كلها تنتظم تحت مبدأ (قوة الصحبة) الذي

من أجله كانت زيادة الواو بين الهمزة المضمومة واللام في كل من (أُوْلِي ، أُوْلُواْ)[22] .

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ في قوله :

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾

(التوبة : ٨٦)

والطول ، على ما يفهم من كلام المفسرين والمعاجم اللغوية هو (القدرة) أو (السعة)[23] ، وهما اعتبار معنوي وكيفية نفسية وإن كانت أسبابها حسية مادية مثل صحة البدن من العلل والآفات المقعدة ، ووفرة المال في اليد .

فالطول بهذا الاعتبار شديد اللصوق بالمضاف لا يقبل الانفصال عنه ، وهو معنى (قوة الصحبة) ، والتي من أجلها زيدت الواو في ﴿أُوْلُواْ﴾ بين الهمزة المضمومة واللام ، وآثرت ﴿أُوْلُواْ﴾ على (أصحاب) لشدة دلالتها على المعنى المراد من كلمة (أصحاب) كما سيأتي عند المقارنة بين ما تضاف إليه كل منهما وسوف يتضح أن (أصحاب) لا تصلح للاستعمال في موضع ﴿أُوْلُواْ﴾ وأن ﴿أُوْلُواْ﴾ لا تصلح كذلك للاستعمال في

---

(٢٢) المصدر نفسه ١/ ١٢٨.

(٢٣) ترتيب القاموس ٣/ ٢١٨.

موضع (أصحاب) وإن فسرت كل منهما بمعنى الأخرى، فهما كالمترادفين، وليستا مترادفتين من كل الوجوه.

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلْفَضْلِ﴾ معطوفا عليها كلمة ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في قوله -عز وجل-

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

(النور: ٢٢)

وما قيل في ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ يقال في ﴿ٱلْفَضْلِ﴾ فهما جميعا كيفيتان نفسيتان قائمتان بذات المضاف إليهما قياما عضويا، مثل قيام الروح الممتزجة بالجسم في حال الحياة، وذلك كله يحقق (قوة الصحبة) بين المضاف ﴿أُوْلُواْ﴾ والمضاف إليه ﴿ٱلْفَضْلِ﴾.

وكل من ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ و ﴿ٱلْفَضْلِ﴾، لم يرد في القرآن الحكيم إلا مرة واحدة مضافا إليه ﴿أُوْلُواْ﴾.

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلْعَزْمِ﴾ مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾

(الأحقاف: ٣٥)

والعزم: الهم القوي، والإقدام المبرم على فعل شيء، أو هو قوة الإرادة والتصميم.

فهو بهذا الاعتبار كيفية نفسية لا يمكن عزلها عن (العازم).

وهـذا هو (قوة الصحبة) بيـن المضاف ﴿أُوْلُواْ﴾ والمضاف إليه ﴿ٱلْعَزْمِ﴾.

وأضيفـت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلضَّرَرِ﴾ مـرة واحدة في قوله تعالى:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾

(النساء: ٩٥)

الضـرر والضـر: هو مـا يصيب الإنسـان من صنـوف الأذى والشـر، والمراد من ﴿ٱلضَّرَرِ﴾ في الآية -كما يفهم من المقام، العجز المترتب على ما يصيب الجسم من آفات.

وهو بهذا الاعتبار عجز ملازم لصاحبه وقت حلول أسبابه به، كالمرض الشـديد والعرج والعمى، و(قـوة الصحبة) ملحوظة بين المضاف ﴿أُوْلِي﴾ والمضاف إليه ﴿ٱلضَّرَرِ﴾.

وأضيفـت ﴿أُوْلِي﴾ إلـى كلمـة الأمـر مرتين في لغـة القرآن إحداهما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

(النساء: ٥٩)

والثانية في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾

(النساء: ٨٣)

والمـراد مـن ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ الحكـم والسـلطان، وهمـا أمـران

معنويان قائمان بالحاكم والسلطان المخول بإدارة شئون الأمة، و(قـوة الصحبة) بين المضـاف والمضاف إليه في هذا البيان لا تحتاج إلى دليل.

وأضيفـت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمتـي ﴿قُوَّةٍ، وبَأْسٍ﴾ في آية واحدة وهي قوله تعالى حكاية عن قوم بلقيس ملكة سبأ:

﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأۡسٍ شَدِيدٍ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾

(النمل: ٣٣)

والقوة والبأس: الشدة والشجاعة والبطش[٢٤] في الحروب، وهي أوصاف ذاتية شديدة اللصوق بالموصوف.

لذلـك آثرت لغة القـرآن أن يكون المضاف هو ﴿أُوْلُواْ﴾ دون (أصحـاب) أو (ذوو) لمـا فـي ﴿أُوْلُواْ﴾ مـن خصوصيـة (قوة الصحبة) المرموز إليها بزيادة الواو بين الهمزة واللام.

هذا، وقد أضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى ﴿بَأْسٍ﴾ في موضعين آخرين هما قوله تعالى:

﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ﴾

(الإسراء: ٥)

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ﴾

(الفتح: ١٦)

---

(٢٤) المصدر نفسه ١/ ١٢٨.

أما ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ فقد أضيفت إليها ﴿أُوْلِي﴾ في موضع آخر واحد، هو قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾

(القصص: ٧٦)

وسر هذه الإضافات كلها هو الدلالة على (قوة الصحبة) بين المضاف والمضاف إليه.

وأضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾ في قوله تعالى:

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾

(النور: ٣١)

الإربة- عموما: الحاجة[٢٥]، والمراد منها في الآية الكريمة الإحساس الذكوري بالميل إلى الأنثى، وهذا الإحساس انفعال نفسي يشعر به الرجل السوي تام التكوين بكل وظائف الأعضاء، وهو بهذا الاعتبار أمر لاصق بالإنسان لا ينفصل عنه، وليس له تحقق في الوجود خارج الجسم الذي يحس به.

وهذا هو (قوة الصحبة) المستفادة من زيادة الواو في ﴿أُوْلِي﴾.

لا يقال: إن ﴿أُوْلِي﴾ حتى إذا رسمت على الأصل هكذا (أُلي) بدون زيادة (الواو) فإنها تدل على هذا المعنى: لأننا نقول:

(٢٥) تفسير أبي السعود ٦/ ١٧٠.

إن (أُلـي) بـدون زيادة (الواو) تدل علـى مجرد (الصحبة) مثل: صاحب ولا تدل على (قوة الصحبة) إلا بزيادة الواو هذه.

وإضافـة ﴿أُوْلِي﴾ إلى ﴿ٱلۡإِرۡبَةِ﴾ لم ترد فـي لغة القرآن إلا في آية (النور) فهي -إذن- من فرائد النظم القرآني الحكيم.

ويـرى بعـض العلمـاء أن ﴿غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾ فـي الآيـة، هم العجزة مـن الرجال الذين يفقدون -أصالة- الإحسـاس بالميل إلى النساء ولا ريب أن هذا العجز ملازم لهم[٢٦].

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿بَقِيَّةٍ﴾ في قوله تعالى:

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

(هود: ١١٦)

والبقيـة علـى مـا جاء فـي كتب التفسـير: الفضـل والخير والخشـية[٢٧]، وهي على هذا كيفيات نفسية قارة في ذوات من يتصفون بها.

والكيفيـات النفسـية لا وجود لهـا خارج محالهـا، وهكذا يستمر معنا مبدأ (قوة الصحبة) في الرسم العثماني للمصحف الشريف.

وإضافـة ﴿أُوْلُواْ﴾ إلـى ﴿بَقِيَّةٍ﴾ مـن فرائـد النظـم القرآني الحكيم حيث لم ترد فيه إلا مرة واحدة

(٢٦) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٦.

(٢٧) ترتيب القاموس ٤/ ١٤.

وأضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ مرتين هما:

﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾
(طه: ٥٤)

﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾
(طه: ١٢٨)

النُّهى: هو العقل الذكي الحصيف، وهو: ملكة لطيفة، زود الله بها الإنسان قارة فيه، يعرف بآثاره ولا تدرك حقيقته، ولا ينفصل عن المتصف به.

وهو بهذا الاعتبار قوي الصحبة بالعقل، لذلك كان المضاف إلى الفعل هو ﴿أُوْلِي﴾ في الموضعين، وكانت زيادة الواو رمزًا إلى هذا المعنى اللطيف.

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ست عشرة مرة، أولها حسب الترتيب المصحفي قوله تعالى:

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (البقرة: ٢٦٩)

واللب هو: العقل الخالص الذكي، وهو ملازم لمن يتصف به قار فيه لا ينفصل عنه، ولذلك أضيفت إليه كلمة ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ في المرات الست عشرة[٢٨]، الواردة في القرآن

(٢٨) المرات الست عشرة هي: آل عمران (٧، ١٩٠)، الرعد (١٩)، إبراهيم (٥٢)، ص (٢٩، ٤٣)، الزمر (٩، ١٨)، البقرة (١٧٩، ١٩٧، ٢٦٩)، المائدة (١٠٠)، يوسف (١١١)، الزمر (٢١)، غافر (٥٤)، الطلاق (١٠).

الحكيم، للدلالة على (قوة الصحبة) بين المضاف والمضاف إليه.

وأضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ في قوله تعالى:

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾

(فاطر: ١)

وهذه هي المرة الوحيدة التي أضيفت فيها ﴿أُوْلِي﴾ إلى كائن مادي مشخص، له وجود محسوس في الواقع ومع هذا فإن معنى (قوة الصحبة) ملحوظ فيه بكل وضوح لأن (الجناح) متصل بالجسم اتصالا عضويًا ملازمًا لمن ركب فيه.

بهذا تطرد دلالة زيادة الواو في كل من (أُوْلُواْ، أُوْلِيٓ) على (قوة الصحبة) في جميع المواضع التي وردت هاتان الكلمتان مضافتين فيها في لغة القرآن العظيم، وفي هذا توكيد بعد توكيد لخلو القرآن في رسم كلماته المخالف للرسم الإملائي الحديث من عدم الدلالة على معنى لطيف.

أما ﴿أُوْلَـٰتِ﴾ وهي خاصة بالجمع المؤنث كما كانت ﴿أُوْلُواْ﴾ و(أُوْلِي) دالة في الظاهر على الجمع المذكر، فإنها -أعني أولات- جاءت في لغة القرآن مضافة مرتين:

أولاهما قوله تعالى:

﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

(الطلاق: ٤)

والثانية قوله -جل ذكره- :

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

(الطلاق : ٦)

وقوة الصحبة بين الحامل والمحمول، أو المضاف والمضاف إليه في هاتين الآيتين لا تحتاج إلى دليل، ويكفي أن يُقال في توكيد (قوة الصحبة) هنا :

إن المرأة الحامل تُرى هي والجنين المستكين في رحمها شخصًا واحدًا لا شخصين، حتى ولو كان ما في رحمها جنينين أو أكثر.

وبهذا -وقد فرغنا من التمثيل لكل ما أضيفت إليه (أُوْلُواْ، وأُوْلِي، وأُوْلَٰتِ) يثبت يقينا لا شك فيه أن زيادة (الواو) بين الهمزة واللام في هذه الكلمات الثلاث لم تتجرد عن إفادة (قوة الصحبة) في هذه الإضافات جميعًا.

ويثبت يقينا أن ما في الرسم العثماني للمصحف الشريف من خصوصيات خالف فيها الرسم الإملائي الحديث، لم يرد عبثًا ولا اعتباطًا، وليس هو راجعًا إلى اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم بعض الكلمات، كما يحلو للبعض أن يقول، ويثبت أن الدعوة إلى إعادة كتابة المصحف على قواعد الإملاء الحديث دعوة باطلة، وإذا قدر لها -لا سمح الله- أن تكون، لكانت تحريفًا شنيعًا لكتاب الله العزيز، فينبغي أن يكف من يدعو إليها -إن كان حسن النية- عن الهذيان بها مهما كانت المبررات.

بيان الفرق بين ما تضاف إليه ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

حفظة القرآن وقارئوه يعرفون أن كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ أضيفت في القرآن إلى كلمات مختلفة، وفيما يأتي إشارات سريعة إليها:

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ - و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلسَّفِينَةِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ ... وهكذا).

وإذا نظر القارئ إلى المضاف ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ وما أضيف إليه في كل موضع من هذه المواضع، تبين له في وضوح أن المضاف (أصحاب) شيء مستقل الذات في الوجود، وأن المضاف إليه، وهو:

﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ - ﴿ٱلنَّارِ﴾ - ﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾ - ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ - ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ - ﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ شيء مستقل بالذات في الوجود، وعلى الرغم من وجود معنى الصحبة بين المضاف والمضاف إليه فإنها صحبة ليست قوية لخلوها من قوة الاتحاد والمزج، اللذين رأيناهما فيما تضاف إليه كل من: ﴿أُوْلُواْ - أُوْلِي - أُوْلَٰتِ﴾.

ولا يخفى على أحد أن الإملاء الحديث اقتبس من الرسم العثماني للمصحف الشريف كتابة هذه الكلمات مزيدة بالواو، ولكن دون مراعاة اللطائف والأسرار التي رُوعيت في الرسم العثماني للمصحف الشريف.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ و ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾
﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾ و ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ و ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ و ﴿وَمَنَوٰةَ﴾

ويلحق بالحديث عن زيادة الواو زيادتها -أي الواو- في وسط بعض أسماء أخرى تحتوي على معان لطيفة لا تستفاد إلا من هذه الزيادة، وهذه الأسماء التي نتناولها هنا ثمانية:

أربعة أصول هي: الصلاة، الزكاة، الحياة، الربا، وهي قد رُسمت في المصحف الشريف هكذا:

﴿ٱلصَّلَوٰةَ - ٱلزَّكَوٰةَ - ٱلۡحَيَوٰةِ - ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

ثم أربعة فروع هي:

(غدوة - مشكوة - نجوة - منوة) مع ملاحظة أن الألف في كل هذه الكلمات الثماني محذوفة، مستعاضًا عنها بألف رأسية صغيرة، كما هو الشأن في الرسم العثماني للمصحف الشريف في كلمات لا تكاد تحصر.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

تزاد الواو في الصلاة بعد الألف وقبل التاء المربوطة في الرسم العثماني للمصحف إلا في بعض مواضع لم تزد فيها (الواو) لسبب سنعرفه بإذن الله.

وقد دلت هذه الزيادة على تفخيم وتعظيم شأن الصلاة عمومًا، فرضًا كانت أم نفلا، مرتبًا أو تطوعًا؛ لأن الألف واللام في (ٱلصَّلَوٰةَ) لتعريف الجنس الشامل لأفراد ذلك الجنس.

وقد استحقت الصلاة هذا التفخيم والتعظيم لعدة اعتبارات يمكن أن نشير إليها إجمالا : بأن الصلاة أم العبادات.

أما تفصيلا فإننا بالتأمل نجد الصلاة تختص بالميزات الآتية :

أ- أنها أدوم العبادات:

فهي تؤدى في اليوم (نهارًا وليلا) خمس مرات فرضًا.

ب- أنها أكثر العبادات:

لأنها لا يخلو منها يوم من عمر المكلف، بينما يكون الصيام مرة واحدة في العام، والحج مرة واحدة في العمر، والزكاة مرة واحدة في العام.

والصلاة خمس مرات في اليوم، ومئة وخمسون في الشهر، وثمان مئة وألف مرة في العام.

ومن حيث الركعات يصلي المكلف في اليوم سبع عشرة ركعة فرضًا : وسبع ركعات نفلا، أي : أربع وعشرون ركعة في اليوم فروضًا ونوافل مرتبة. وعشرون وسبع مئة ركعة في الشهر فروضًا ورواتب، وأربعون وست مئة وثمانية آلاف ركعة في العام.

ج- اشتمالها على تلاوة القرآن والتكبير والتسبيح وتمجيد الله -عز وجل-.

د- اشتمالها على (السجود) وفيه يكون العبد أقرب إلى الله وأظهر خضوعًا وخشوعًا حيث يسجد المكلف إجلالا لله وتعظيمًا ثماني وأربعين مرة في اليوم، وألفًا وأربع مئة وأربعون في الشهر، وثمانين ومئتان وسبعة عشر ألفًا في العام.

هـ- اشتمالها على عبادة أخرى حال القيام بها ، وهي الصيام ؛ لأن الأكل والشرب فيها يفسد الصلاة .

و- توقف صحتها على الطهارتين الكبرى والصغرى.

ز- توزيعها على أوقات اليوم توزيعًا حكيمًا ، حين طلوع الفجر ، وعند توسط الشمس في كبد السماء ، وحين يبلغ ظل كل شيء مثليه ، وحين غروب الشمس وقدوم الليل ، وحين انمحاء آثار الشمس (الشفق الأحمر) فهي مرتبطة بآيات الله في الكون العظيم .

ح- محوها للذنوب والخطايا، وقد شبهها الرسول ﷺ بالاغتسال في نهر جار في اليوم خمس مرات ، فالاغتسال طهارة للجسم ، والصلوات الخمسة طهارة للروح من الآثام .

هذه المعاني ، وغيرها كثير ، دلت عليها زيادة الواو في الرسم العثماني للمصحف الشريف في كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فهي لم تزد عبثًا ، وحاشا لله أن يكون في كتابه شيء يخلو من المعاني والأسرار .

إن كتاب الله العزيز لم ترد فيه كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ خالية من هذه (الزيادة) الرامزة إلى تلك المعاني والأسرار الحكيمة ، إلا في بضعة مواضع هي قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

(الأنفال : ٣٥)

وقوله : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢)

وقوله : ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾

(الإسراء: ١١٠)

وقوله : ﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ ﴾

(النور: ٤١)

وقوله : ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾

(الأنعام: ٩٢)

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٢)

وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾

(المعارج: ٢٣)

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾

(المعارج: ٣٤)

وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾

(الماعون: ٥)

هذه المواضع لم تأت (الواو) فيها مزيدة في الرسم العثماني للمصحف الشريف، وهذا قد لحظه الإمام الزركشي، وأشار إليه إشارة مجملة دون أن يكشف عن السر في مجيئها خالية من

الــواو[٢٩]، نذكــر ما هدانا إليه الله -عز وجــل- بعد طول النظر والتأمــل، بحثًا عن الفروق بين ما زيدت فيــه الواو، وما لم تزد فيه.

هــذه الفروق تبينت لنا بجــلاء من النظر فــي النظم القرآني نفسه، لا من شيء سواه: فقد تبين أن ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ التي تزد فيها (الواو) هي ما كان معناها عامًا شــاملا لــكل أفراد الجنس، أما إذا كان المعنى قد دخله شــيء ما مــن الخصوص، فلا تزاد تلك (الواو).

والمواضع التي تقدم ذكرهــا خالية من زيادة (الواو) جاءت كلها مضافة إلى الضمير ســواء كان ضمير متكلم ﴿صَلَاتِي﴾، أو ضميــر مخاطب ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ أو ضميــر غائب ﴿صَلَاتَهُۥ﴾ - ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ وهذا ظاهر من الآيات المتقدم ذكرها.

ومعلــوم أن الإضافــة نــوع مــن التخصيص والتقييــد، فليس مدلــول (الصلاة) معــراة عن الإضافة، هــي مدلول ﴿صَلَاتِي أو صَلَاتَهُۥ أو صَلَاتِهِمْ﴾ مضافات إلى الضمير.

فشــرط العموم لازم في اســتجلاب زيادة (الواو) فإذا تخلف هذا الشرط رسمت كلمة (صلاة) خالية من الواو.

هــذا هو المعنى الذي لــم يعره أحد انتباهًا، وهو معنى عظيم كما ترى.

---

(٢٩) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠٩.

فالصلاة المفخمة المعظمة بزيادة الواو في الرسم العثماني للمصحف الشريف هي الصلاة الجامعة العامة التي معناها (كلي) لا جزئي، ولذا يمكن أن نقول:

إن ما جاء مضافًا من ألفاظ (الصلاة) في القرآن، كان في معناه تخصيص ما اقتضى ذلك ترك زيادة الواو في الرسم، إلا في موضعين جاءت فيهما (الصلاة مضافة) ومع هذا زيدت فيها (الواو) استثناء من القاعدة التي أثبتناها آنفًا.. ولم تأت زيادة (الواو) فيهما اعتباطًا، بل جاءت لمعنى حري بالقبول والتقدير. والموضعان هما: قوله تعالى:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾

(التوبة: ١٠٣)

وقوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾

(هود: ٨٧)

وسبب زيادة (الواو) فيهما هو الآتي:

فريق من القراء، وهم حفص عن عاصم والكسائي وخلف قرءوهما في التوبة وفي هود، بالإفراد هكذا (إن صلاتك) بفتح التاء في التوبة، و﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ بضم التاء في هود.

أمـا الباقون مـن القراء فقد قرءوهما فـي الموضعين بالجمع هكذا : (إن صلواتك) بكسـر التاء في التوبة و﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ بضم التاء في هود[٣٠].

إذن، فـإن خروج هذيـن الموضعين عن القاعـدة، وهي ترك زيـادة الـواو فـي الصـلاة إذا أضيفـت، سـببه صلاحية الرسـم فيهمـا لقراءتـي الإفراد والجمـع، وهذا من دقائـق المعاني في خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

الزكاة:

زيدت (الـواو) في الزكاة كما زيدت فـي الصلاة، والمعنى العام الذي زيدت فيهما من أجله واحد، هو التفخيم في شأنهما وتعظيمهما.

بيـد أن الـزكاة انفـردت بخصوصية زيادة (الـواو) فيها في جميـع مواضع ذكرها فـي القرآن الكريم، لـم يتخلف فيها أي موضـع من مواضع ذكرها، بخلاف ما تقدم في الصلاة، حتى ما لم يأت منها بمعنى إنفاق المال، مثل قوله تعالى:

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾

(الكهف: ٨١)

إذ ليـس المراد من ﴿زَكَوٰةً﴾ هو الإنفـاق المالي، بل المراد طهارة الروح وثبات القلب على الإيمان والطاعة لله -عز وجل-.

---

(٣٠) انظر الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ٤/ ٦.

والسبب في اطراد زيادة (الواو) في الزكاة هو أنها لم تأت في الذكر الحكيم مضافة قط، بل معرفة باللام أو منكرة كما في آية الكهف المذكورة آنفًا.

وعدم ورودها مضافة أفاد دلالتها للعموم والشمول والكلية، وهذا شرط في زيادة (الواو) كما تقدم في مبحث الصلاة.

لماذا تفخيم شأن الزكاة؟

كانت الزكاة جديرة بالتفخيم والتعظيم، مثل الصلاة، للاعتبارات الآتية:

أ- اشتراكها مع الصلاة في أن كلا منهما ركن عملي من أركان الإسلام الخمسة.

ب- تزكيتها المال المزكى وصاحبه، وتطهيرهما، كما جاء في قوله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)

جـ- الأثر العظيم للزكاة في التكافل والتضامن الاجتماعي، ومعالجة مشكلات الفقر والعوز، ومواساة الأغنياء للفقراء، وذوي الحاجات، وسد كل خلل في حياة الأمة، ناتج عن التفاوت في الحظوظ والكسوبات المالية لتفاوت الناس في القدرات والمواهب، ولحالات العجز عن الكسب لمرض أو عاهة، أو عدم وجود عمل.

والأموال التي تجب فيها الزكاة أربعة أنواع:

الأول: النقود (الذهب والفضة) وما يقوم مقامها من العملات الورقية الحديثة، أو (الفلوس)[٣١]

الثاني: بعض المحصولات الزراعية.

الثالث: بعض الحيوانات المأكولة اللحم، وتسمى في عرف الشرع: الأنعام أو الماشية.

الرابع: عروض التجارة، وتشمل المال السائل (النقود) وجميع السلع التجارية، التي يتعلق نشاط التاجر بها.

ومع تفاوت النسب في مقادير الزكاة الواجب إخراجها باختلاف نوع المال المزكى، فإن الإسلام خصص جزءا من أربعين جزءا في زكاة النقدين (الذهب والفضة)، وفي عروض التجارة، من مجمل الثروة القومية، وجعل هذا الجزء بالغا ما بلغ حقا للفقراء والمساكين، وأصحاب الأعذار المعتبرة شرعا.

وحصيلة الزكاة من هذا الجزء كفيلة بعلاج حالات الحرمان في المجتمع المسلم ومحو الشقاء.

لهذه الاعتبارات رمز الرسم العثماني للمصحف الشريف بزيادة (الواو) في كلمة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ولم تأت هذه الزيادة مقحمة خالية من الدلالة على هذه اللطائف والأسرار.

---

(٣١) الفلوس هي كل ما سك من النقود من غير الذهب والفضة: أي بدائل الدينار الذهبي والدرهم الفضي.

﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾:

من الأصــول الأربعــة، التي زيــدت فيها (الواو) في الرســم العثماني في وسط الأســماء كلمة (الحياة) سواء كانت معرفة أو منكرة.

وجاءت هذه الزيادة رمزا -كذلك- على ما للحياة من فخامة وعظمــة؛ لأنهــا مبــدأ الوجــود، والحركــة، والنشــأة، وعمارة الأرض، واستثمار ما فيها من طاقات ونعم لا تحصى.

الحيــاة هي الوجــود، ومناط الخلافة فــي الأرض، ومن النظر في مقامات ورود كلمة (الحياة) في لغة القرآن، يبدو أن شــرط زيــادة (الواو) فيهــا أن يكون معناها كليا شــاملا، أما إذا دخله نــوع مــا من (الخصوص) فلا تُــزاد فيها (الــواو) كما تقدم في (الصلاة) وهذه أمثلة تؤكد ذلك:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾

(البقرة: ٢٠٤)

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾

(آل عمران: ١٤)

﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾

(النساء: ٧٤)

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾

(الأنعام: ٣٢)

في الآيات الأربع دلت كلمة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ على العموم والشمول، واطردت فيها زيادة (الواو) لوجود شرط زيادتها.

ما لم تزد فيه (الواو):

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾

(الأحقاف: ٢٠)

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

(الأنعام: ٢٩)

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾

(الفجر: ٢٤)

إن المعنى المراد من: ﴿حَيَاتِكُمُ - حَيَاتُنَا - لِحَيَاتِى﴾ معنى خاص هو حياة المضاف إليه، وهو كاف الخطاب في الأولى، وضمير الجمع المتكلم في الثانية، وضمير المفرد المتكلم في الثالثة.

وبهذا يبدو بكل وضوح أن (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف) تسير على منهج منظم، ودقيق كل الدقة، مما يدعو إلى اليقين بأن ما بين دفتي المصحف كله معجز.

﴿ٱلرِّبَوٰا۟﴾:

هذا هو الأصل الرابع من الأصول التي تزاد فيها (الواو) في الرسم العثماني للمصحف الشريف، رمزا إلى معنى تدل عليه هذه الزيادة.

هذا المعنى هو التفظيع والتهويل والتنفير من الربا مصدرا من مصادر الكسب الخبيث.

وهذا تراه واضحا في الآيات الآتية :

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ (البقرة : ٢٧٥)

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾

(البقرة : ٢٧٦)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

(آل عمران : ١٣٠)

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾

(النساء : ١٦١)

وردت كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ في هذه الآيات ست مرات، وقد زيدت فيها (الواو) بين الباء والألف في المرات السابقة مرادا من هذه الزيادة تهويل شأن الربا وتفظيعه والتنفير منه.

إلا موضعا واحدا...

نعم، إلا موضعا واحدا من مواضع ورود كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ في القرآن لم ترد فيها هذه الزيادة، وهو قوله تعالى :

﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾

(الروم : ٣٩)

وإنما لم تزد الواو هنا لذهاب معنى الكلية المعهودة في الأذهان، المفادة من تعريف ﴿رِّبًا﴾ باللام في المواضع الستة الآنفة الذكر؛ لأن التعريف فيها صرف الذهن إلى معنى ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ المعروف لدى المخاطبين، أما في هذه الآية فقد جاءت الكلمة نكرة ﴿مِّن رِّبًا﴾ بدخول حرف الجر الزائد من حيث اللفظ لا من حيث المعنى، وهذا كثير الورود في القرآن مثل:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

(هود: ٦)

وقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾

(البقرة: ٢٧٠)

وهذه الصياغة لا تدل على المعنى الكلي العام، بل على تتبع جزئيات ذلك المعنى، وهذا نوع من الخصوص، سوَّغ ترك زيادة الواو في هذا الموضع.

وقد دخله الخصوص من جهة أخرى، نص عليها بعض المفسرين، وهي احتمال ﴿رِّبًا﴾ هنا لهبة الثواب وهي مما أجازها بعض الفقهاء.[٣٢]

وبهذا ينتهي الحديث عن الأصول الأربعة المتقدم ذكرها.

---

(٣٢) هبة الثواب هي ما يجري بين الناس في بعض المناسبات كالنقوط في الأفراح، وقد رخص فيها مذهب الإمام مالك فيردها آخذها بأكثر منها، وهي ليست من القروض التي جرّت نفعًا بل من باب «المعروف» الذي تحسن المكافأة عليه.

الفروع الأربعة: (٣٣)

الغداوة:

زيدت الواو في هذه الكلمة بعد الألف، وقبل التاء، والأصل أن تكتب هكذا: «الغداة» وقد وردت فريدة بالواو في موضعين من القرآن الكريم هما:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الأنعام: ٥٢)

وقوله جل وعلا:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الكهف: ٢٨)

والسر اللطيف الذي رمزت إليه هذه الزيادة هو التنويه ولفت الأذهان إلى فخامة ما تدل عليه كلمة «الغداة» فالغدو والغدوة والغداة هي مبدأ الحركة والانطلاق نحو الخير العاجل والآجل.

وقد قوبلت بالعشي، وعشية الشيء نهايته كما قوبل الغدو بـالآصال في سورة النور في قوله تعالى:

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (النور: ٣٦)

فالغداة والغدو هما بداية حركة الحياة، من أجل ذلك فخمت ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ بزيادة الواو ومما زاد في فخامة معناها وقوع ذكر الله فيها في الآيتين الكريمتين.

---

(٣٣) يراد بـ «الفروع» ما وردت فيه الزيادة في موضع أو في موضعين لا أكثر.

ونذكّر هنا: بالبركة في البكور، وكراهية النوم في هذا الوقت الفاضل.

المشكاوة:

هذه الكلمة من فرائد القرآن، لم تذكر فيه إلا مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

(النور: ٣٥)

هذه الآية تمثيل لعظمة هداية الله لأهل السماوات والأرض، وهداية الله من الأمور الذهنية العقلية وليست كتلة مادية.

ونور الله مستعار لهدايته ووحيه إلى رسله، وجملة:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾

مشبه، وقد أقيم مقامه في الآية كلمة ﴿مَثَلُ﴾ مضافة إلى كلمة ﴿نُورِهِۦ﴾.

فما قبل ﴿مَثَلُ﴾ هذه مشبه في المعنى دون اللفظ، أما ﴿مَثَلُ﴾ فهو المشبه، ولا يكون ﴿مَثَلُ﴾ مشبها ولا مشبها به إلا في الأمور الفخمة العظيمة، كما في هذه الآية الكريمة؛ لأن «نور الله» لا شيء أجل وأعظم منه في الوجود.

و ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ وإن دخلت عليها أداة التشبيه، وهي «الكاف» فليست هي بمفردها المشبه به، بل هي وما وقع في حيزها من المصباح، والزجاجة، ونعت هذه الزجاجة، والكوكب الدري... إلخ.

فالتشبيه في الآية الكريمة ليس من قبيل تشبيه مفرد بمفرد، كتشبيه الشجاع بالأسد، والكريم بالبحر، بل هو من التشبيهات المركبة، التي طرفاها مركبان، صورة بصورة وهيئة بهيئة، الذي يكون المشبه والمشبه به فيه مكونًا من عدة عناصر [٣٤].

وإنما دخلت أداة التشبيه على كلمة (مشكاة) لأنها أهم عناصر الصورة المشبه بها.

وكلمات الآية، وتراكيبها، كلها مشرقة مضيئة:

﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾ - ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ - ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ - ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ - ﴿كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ - ﴿يُوقَدُ﴾ - ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ - ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ - ﴿وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ﴾ - ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ - ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾.

من أجل هذه المعاني الفخمة، العظيمة، زيدت الواو في (مشكاة) تفخيما لشأنها وتلميحا إلى كمالها في الإضاءة وطاقة الضوء الهائلة، المرئية فيها.

---

(٣٤) انظر الإيضاح للخطيب القزويني، مبحث التشبيه والتمثيل.

و(المشكاة) هي الكوة غير النافذة في الجدار، حتى لا يتبدد ضوؤها، أو يناله شيء ما من الضعف، ولعلك تدرك من النظر في نظم الآية وتراكيبها كيف ترقّى البيان القرآني في الصعود بالصورة المشبه بها، حتى بلغت الكمال من حيث المعنى الذي أراده الله منها، وهو توضيح كيفية هداية الله للناس، بما لا يحتاجون معه إلى هاد يهديهم مع الله – جل وعلا –.

ٱلنَّجَوٰةِ :

وهذه من فرائد القرآن كذلك، وإن كانت مادتها لها ورود فيه، لكن ليس على هذه الصيغة الاسمية المعرفة باللام.

وكان ورودها في قوله تعالى:

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾

(غافر: ٤١)

وزيادة «الواو» فيها بين الألف والتاء رمز كذلك إلى تفخيمها وتعظيمها؛ لأنها نهاية درجات الفلاح والفوز في الحياتين: الدنيا والآخرة، وهي متضمنة معنى «الجنة» بدليل مقابلتها بـ «النار».

وإذا سأل سائل: إذا كان المراد من النجاة الجنة، فلماذا عدل البيان القرآني عن الجنة إلى النجاة؟

والجواب: إن معنى النجاة أعم من معنى الجنة، فالنجاة تشمل الفلاح في الدنيا، والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة، أما «الجنة» فمعناها مقصور على نعيم الآخرة.

وفــي الغداة والنجاة ســر آخــر تدل عليه زيادة الــواو فيهما ، وهــو الإلماح إلى الأصل اللغوي فــي جذر كل منهما ، فالغداوة ، من غدا يغدو .

ٱلنَّجَوٰةِ : من نجا ينجو .

فالواو فيهما هي لام الفعل ، كغزا يغزو ، ونما ينمو ، ودعا يدعو .

وَمَنَوٰةَ :

وهذه كسابقتيها من فرائد القرآن ، وقد وردت في قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾

(النجم : ١٩ ، ٢٠)

وهــي من أصنام العرب في الجاهلية ، وقد زيدت فيها « الواو » بيــن الألــف والتاء لا لتعظيمهــا وتفخيمها ، بل لتهويل شــأنها وتفظيعــه وقبحــه ؛ لأنها قاعــدة الضلال لأن عبــدة الأصنام من العرب كانوا يعظمونها بنوع خاص من التعظيم .

يذبحون عندها النسائك تقربا إليها ، ويرفعون إليها حوائجهم ويتبركون بها ويسألونها إنزال الغيث من السحاب[٣٥] .

ولذلــك أفردها الله بوصف الــذم ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ردا على تعظيم المشركين لها ورجائهم الخير منها .

وهكــذا يتضح لنــا بكل جــلاء : أن زيادة « الواو » في الرســم العثمانــي في بعض الكلمات ، إنما كانــت رموزا لمعان لطيفة ، وأسرار شريفة ، سواء كان ذلك في حذف « الواو » أو في زيادتها ، أو في غير الواو كالألف والياء كما سيأتي .

---

(٣٥) انظر الكشاف للإمام الزمخشري (٤/ ٣٠).

زيادة الواو في أواخر الأسماء

لـم ترد هذه «الـواو» مزيدة في أواخر الأسـماء إلا بضابطين مطردين:

أحدهما: أن يكون الاسـم المزيدة فيه مرفوعًا لا منصوبًا ولا مجرورًا.

والثاني: أن يكون الاسم مقطوعًا عن الإضافة إلى الضمائر.

وهـذه الزيـادة - كمـا عهدنا - تأتـي مرموزًا بهـا إلى معنى لطيف فهي من حيث الرسـم الخطـي تعتبر زائدة، أما من حيث المعنى فتأتي متمكنة أصيلة.

وفيما يلي أمثلة من لغة القرآن توضح كل ذلك وتجليه:

عُلَمَـٰٓؤُاْ:

من ذلك قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

(الشعراء: ١٩٧)

هـذه الآية نزلـت ضمن آيات تبيـن موقف كفـار العرب من القـرآن الكريـم وعـدم إيمانهم بأنـه وحي الله إلـى محمد ﷺ وكانـوا قد بعثوا إلى يهود يثرب يسـألونهم عـن القرآن أهو من عند الله فأخبروهم أن نبيّا سيبعث صفته كذا وكذا وأن هذا زمان ظهوره [٣٦].

---

(٣٦) انظر: فتح التقدير للإمام الشـوكاني (٤/١٢٦) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية (١٢/٨٠).

ومع ذلـك أصروا على كفرهـم به وإعراضهـم، والمراد من علماء بني إسرائيل هم الذين آمنوا منهم بعد الهجرة: كعبد الله بن سلام لما عرفوه من الحق فيما أنزله الله إليهم، وهذا ثناء من الله عليهم؛ لأنهم جهروا بالحق لمبعوثي قريش إليهم.

وزيادة «الواو» في ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ والأصل: علماء بهمزة مضمومة لكن زيدت «الواو» رامزة إلى معنى لطيف هو تفخيم وتشـريف وتكريـم هـؤلاء العلمـاء لأنهم أعلنـوا الحق الـذي علموه ولم يكتموه، كما فعل الآخرون من أحبارهم وكذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

(فاطر: ٢٨)

زيدت «الواو» فـي كلمة ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ كما زيدت في ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وسـبب الزيـادة في الموضعين واحـد هو التعظيم والتفخيم والتكريم.

وقد عرفنا جهة التفخيم في ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾، أما جهة التفخيم في ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ هنـا فهـي أن الله – عز وجل – حصر خشـيته فيهم وقصرهـا عليهم قصر صفة على موصوف قصـرًا حقيقيًا، وهي شرف عظيم لمن يتصف بها وفضل ليس فوقه فضل.

فقـد وضح مـن المثاليـن المتقدمين أن زيادة «الـواو» فيها، وهي خصوصية قرآنية إنما كانت لمعنى لطيف، فإن قال قائل: إن التعظيم والتفخيم في الموضعين مستفاد من المقام، وقرائن الأحـوال، وليس من زيادة «الواو» قلنا: إن في زيادة «الواو» لفتًا

قويًا للأذهان إلى هذا المعنى ؛ لأن الشيء إذا جاء على خلاف الأصل كان باعثًا على التأمل والبحث عن السر وراء هذه المخالفة أو الخصوصية فهي مثل (النبر) في الكلام.

نَبَؤُاْ :

ومن ذلك كلمة ﴿نَبَؤُاْ﴾ وأصلها أن تكتب في الرسم الإملائي الحديث هكذا «نبأ» بهمزة مضمومة فوق الألف لكنها جاءت في الرسم العثماني للمصحف الشريف واوًا فوقها همزة وذلك في موضعين من القرآن في سورة واحدة :

أولهما قوله تعالى :

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾

(ص : ٢١)

زيدت «الواو» في هذا الموضع للدلالة على تهويل الحدث المدلول عليه بكلمة ﴿نَبَؤُاْ﴾ لما فيه من غرابة بادية من قوله - عز وجل - :

﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾

لأن الدخول المعهود يكون من الأبواب مع حصول الإذن من المدخول عليه وهو هنا داود عليه السلام والخصم موضوع الحديث في هذه الآيات دخل على داود من جهة غير معهودة.

وهذه إحدى جهات التهويل وجهة أخرى بادية من قوله - عز وجل- مخبرًا عن داود :

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾

والفزع لا يكون إلا من الأحداث الفادحة وبخاصة إذا اقترنت بعنصر المفاجأة وهو الوثوب من فوق المحراب.

إنها عملية مفزعة حقًا حملت نبيًا كريمًا على الانزعاج والاضطراب؛ لهذا استحق هذا النبأ حين قصه الله على رسوله محمد ﷺ أن يصور في صياغة فخمة تناسبه، وأن يكون لنظر القارئ وبصره من هذا «الرسم الخطي» ما لبصيرته من الاستدهاش والاستغراب وأن يكون ما يثير البصر لدى الناظر في كتاب الله مقدمًا على ما يثير البصيرة.

فالذي يخاطب البصر هو زيادة «الواو» في ﴿نَبَؤُاْ﴾ والذي يثير البصيرة هو جملة ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ فليست زيادة «الواو» هنا مقحمة بلا معنى، وليست هي ناتجة عن اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم بعض الكلمات، كما يحلو للبعض أن يفهم وأن يقول، بل هي زيادة في الرسم مقصودة قصدًا ووراءها معنى تسجد لإعجازه العقول.

أما الموضع الثاني فهو قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾

(ص: ٦٧)

الخطاب في ﴿قُلْ﴾ للرسول الكريم محمد ﷺ، ومما تجدر الإشارة إليه أن فعل الأمر ﴿قُلْ﴾ في القرآن الكريم في صيغة المخاطب المفرد المذكر هو خاص برسولنا الكريم ما عدا موضعًا واحدًا:

هو قوله تعالى:

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾

(الإسراء: ٢٣)

فهـو خطاب لغيره قطعًا لأن والدي رسـول الله ﷺ لم يكونا حييـن حين نزل القرآن وكل موضع خوطب فيه ﷺ بفعل الأمر هذا ﴿قُلۡ﴾ مؤذن بأن مضمون الخطاب حقيقة عظيمة ورسـالة جليلة الشأن يجب تبليغها إلى من عني بها فورًا وبلا تراجع.

وفي الآية موضوع الحديث هنا:

﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾

زيـدت «الواو» في ﴿نَبَؤُاْ﴾ للدلالة علـى مضاعفة مقتضيات التعظيم والتفخيم لهذا النبأ ومن حيث التراكيب التي ورد فيها ﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ نجـد البيان القرآني أخرجه في هالة من مقتضيات الفخامة والعظمة وهي كما يأتي:

أ- اشـتقاقه من مـادة (ن-ب-أ) دون مـادة (خ-ب-ر) لأن المادة الأولى تسـتعمل في الأمور المهمة، الجليلة الشـأن، أما المادة الثانية فلا يشترط فيها ذلك.

لذلك قال: ﴿نَبَؤُاْ﴾ ولم يقل: خبر.

«لأن النبـأ خبـر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة،

وحق الخبر الذي يقـال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالمتواتر وخبر الله ورسوله»[37].

لذلك قال: ﴿نَبَؤٌا﴾ ولم يقل: خبر.

ب- الإتيان به في صورة النكرة ﴿نَبَؤٌا﴾ ومن معاني التنكير في البلاغة: التعظيم ويستفاد من هذا المعنى من المقام المسوق فيه الكلام أو ما يسمى - بلاغة قرائن الأحوال - وهي - هنا - تدل على التعظيم.

جـ- وصف هذا النبأ - هنا - بـ﴿عَظِيمٌ﴾ يعني: جليل الشأن، رفيع القدر.

د- زيادة «الواو» فجيء به هكذا ﴿نَبَؤٌا﴾ ولم يأت: نبأ.

وإنما تضامت مقتضيات التفخيم والتعظيم وتآزرت في هذا الموضع؛ لأن هذا النبأ حاز من عناصر الفخامة والعظمة ما لم يحزه نبأ سواه ذلك لأنه إعلام من الله علام الغيوب بوقائع غيبية ليس لأحد من البشر علم بها إلا عن طريق الوحي الصادق.

وهذا هو ما تصوره الآيات الآتية:

﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي

---

(٣٧) انظر: مفردات الراغب ٤٨١ مادة (النون والباء والهمزة).

فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(ص: ٦٧ - ٧٤)

فمـن الـذي كان حاضرًا من البشـر - وهم كانـوا لم يخلقوا بعد - هذه الوقائع في الملأ الأعلى (الملائكة) لمَّا حدثتْ؟

ومن منهم سمع كلام الله يوم صدوره للملائكة؟

لهـذا كان إعلام الله رسـوله بمـا حدث نبأ عظيمًـا حقًا، ولا يرتاب في هذا إلا حائد عن الحق.

وكذلك قوله - عز وجل -:

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الأنعام: ٥)

زيـدت «الـواو» فـي كلمة ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ فـي الرسـم العثماني للمصحف الشريف وكان الأصل أن ترسم هكذا: أنباء بهمزة مضمومـة وقد اجتلبت هذه الزيادة لإفادة التهويل والتفظيع، ومقتضى هـذا التهويل هو المبالغة فـي التهديد والتخويف؛ لأن الكلام مسـوق في الحديـث عن الذين كفـروا وأعرضوا عـن الحق الذي جاءهم به محمد رسـول الله ﷺ فقد وصفهم القـرآن في بدايات سـورة (الأنعـام) بأنهم يسـاوون بين الله وبيـن شـركائهم وأنهم ممترون شـاكون في صدق الرسـالة والرسول ثم قال:

﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾
(الأنعام : ٤)

ثم جاء قوله تعالى :

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾

تهديدًا ووعيدًا لهم إذا لم يرعووا عن غيهم وضلالهم، ومعلوم أن التهديد بالمصير الفظيع أبلغ في التأثير من الوعيد اليسير.

من أجل هذا زيدت «الواو» في ﴿أَنۢبَـٰٓؤُاْ﴾ وجاءت هذه الزيادة لافتة الأذهان لفتًا قويًا إلى فظاعة وهول ما تتضمنه هذه الأنباء من معان وأحداث يوم يجعل الولدان شيبا.

وسدت هذه الزيادة مسد أن يقال: الأنباء، الفظيعة آثارها، المهولة أحداثها.

ومثل آية الأنعام قوله تعالى :

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾
(الشعراء : ٦)

والحديث فيها عن مشركي العرب، وقد أشارت الآية الخامسة من سورة الشعراء وهي :

﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾

إلى المعنى الذي تصدرت به آية الأنعام :

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾
(الأنعام : ٥)

حيث أجملت آية الأنعام موقف المشركين في آية واحدة، وأفردته سورة الشعراء في آيتين، والمقام في السورتين واحد تكذيب وإعراض.

لذلك زيدت «الواو» في كلمة ﴿أَنۢبَـٰٓؤُاْ﴾ في السورتين تعظيمًا وتهويلًا لسوء مصيرهم، فما تحمله تلك الأنباء من وعيد، شديد مؤلم.

وكذلك قول الحق عز وجل:

﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ٥)

هذه الآية جمعت بين توبيخ مناهضي الدعوة من العرب وبين تهديدهم ووعيدهم بأن ينتقم الله منهم كما انتقم من مكذبي الرسل قبلهم كعاد وثمود وهم عرب مثلهم دمرهم الله فلا يُرى منهم من باقية.

وجاءت زيادة «الواو» في ﴿نَبَؤُاْ﴾ مشيرة إلى فظاعة المصير الذي كان لعاد وثمود وأمثالهم، وأنه هو المصير نفسه الذي ينتظر هؤلاء إذا لم يبادروا إلى الإيمان بالحق الذي جاء به خاتم النبيين ﷺ.

وكلمة «جزاء» مرفوعة ومقطوعة عن الإضافة إلى الضمائر، وردت في القرآن الكريم مرات وتفاوت رسمها الخطي فيه بين مجيئها بالهمزة المضمومة هكذا «جزاء» وبين مجيئها مزيدة بالواو هكذا ﴿جَزَـٰٓؤُاْ﴾ والأول هو الأكثر.

ومحال - كما علمنا - أن يكون هذا التفاوت الخطي خاليًا من الدلالة وإنما يأتي الرسم الخطي بالهمزة المضمومة إذا لم يقتض المقام تفخيمًا ولا تهويلًا.

ويأتي بالواو المزيدة في الرسم إذا كان المقام يقتضي تفخيمًا أو تهويلًا وتفظيعًا.

جَزَٰٓؤُاْ :

وهذا يظهر بكل وضوح من المقام نفسه الذي تأتي فيه كلمة «جزاء» غير مزيدة بالواو أو ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ مزيدة بالواو.

ونسوق لتوضيح ذلك شاهدين من سورة واحدة وهما:

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(المائدة: ٢٩)

جاءت كلمة ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ مزيدة بـ«الواو» رمزًا إلى أن هذا الجزاء فظيع شديد الإيلام وهو الخلود في النار، وقدم البيان القرآني لهذا التهويل والتفظيع بالنص على تحمل الجاني بجريمتين لا جريمة واحدة.

الأولى: تحمله جريمة قتل أخيه المسالم الوديع.

والثانية: تحمله جريمة نفسه(٣٨).

---

(٣٨) يلاحظ القارئ أن الفعل ﴿تَبُوٓأَ﴾ قد زيد فيه ألف بعد الواو ووضعت الهمزة عليه وكان الأصل أن يكتب هكذا «تبوء» وقد نص أهل العلم أن زيادة الألف فيه للدلالة على كثافة الإثم الذي ارتكبه ابن نوح قاتل أخيه وسيأتي هذا في مباحث حذف الألف وزيادتها في «خصوصيات» الرسم القرآني.

فالمقـام – كما ترى – اقتضى تفظيع الجزاء وتهويله، ولولا هذا الاعتبار ما زيدت «الواو» في آخر الفعل.

هذا هو الموضع الأول، أما الثاني فهو قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة: ٣٣)

بولـغ في تفظيـع وتهويل الجـزاء في هذه الآيـة فزيدت فيه «الواو» لأن المقام يقتضي هذا التفظيع لقبح الجرائم المرتكبة وهي:

- محاربـة الله – عـز وجـل – أي معصيتـه وانتهـاك أوامـره ونواهيه.
- محاربـة رسـول الله ﷺ فيمـا جـاء بـه من عنـد الله – عز وجل –.
- السـعي في الأرض بالفساد وهي جملة جامعة لكل معصية في حق الله وحق العباد:
  - قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.
  - انتهاك الأعراض.

- اغتصاب الأموال أو سرقتها.
- ترويع أمن المجتمع والأفراد.
- قطع الطريق وتخويف الآمنين.

ولفظاعة هذه الجرائم كان الجزاء فظيعًا:

- ليس التقتيل فحسب.
- بل التصليب مع التقتيل.
- وتقطيع الأيدي والأرجل.
- والحبس أو التغريب (٣٩).

هذا الخزي لاحق بهم في الدنيا، أما في الآخرة فلهم عذاب عظيم لهذه الاعتبارات جميعًا:

فظاعة الجرائم، وتغليظ العقوبات العاجلة في الدنيا، وسوء المصير في الآخرة، زيدت «الواو» في ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ للدلالة علي فداحته وسوء منقلب محاربي الله ورسوله العاثين في الأرض مفسدين.

أما إذا لم يرد التفظيع والتهويل وكان المقام وقرائن الأحوال دالين على انعدام تلك الإرادة فتأتي كلمة «جزاء» في

---

(٣٩) اختلف الفقهاء في المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فذهب الحنفية إلى أن المراد من النفي هو الحبس.

وذهب غيرهم إلى أن المراد منه هو تغريب المجرم وترحيله من بلده الذي ارتكب فيه الجريمة إلى بلد آخر لا يعرف هو فيها أحدا ولا يعرفه أحد.

الرســم القرآني خالية من زيادة «الواو» وفيما يأتي نذكر مثالين توضيحيين:

أولهما قوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ (المائدة: ٩٥)

لـم تزد «الـواو» في كلمة «جزاء» هنـا؛ لأن المقام لم يقتض تفظيعا ولا تهويلا؛ لأن الجزاء المذكور في الآية هنا، هو مجرد غرامـة تلزم المعتـدي على الصيد وهو محرم فهـو ـ إذن ـ جزاء دنيوي يســير، لا تأثير لـه على الملزم به فـي بدنه، لذلك خلا «جزاء» من زيادة «الواو» كما ترى.

والمثال الثاني قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ﴾

(يونس: ٢٧)

المقــام ـ هنــا ـ يدل على مقابلة سـيئة بسـيئة مثلها في حال اكتساب السيئة في الحياة الدنيا، وهذا من رحمة الله بالناس، إذ جعل الحسنة بعشر أمثالها، وجعل جزاء كل سيئة سيئة مثلها، ولمــا خلا المقام من مقتضيات مضاعفــة الجزاء وتهويله، خلا رسم «جزاء» من زيادة «الواو».

وهــذا دليل تلو دليل، على أن خصوصيات الرســم العثمانى للمصحف الشــريف حافلة بدقائق المعانــي، وروائع اللطائف، ولولا تلك «الخصوصيات» ما كانت تلك المعاني والأسرار.

دُعَـٰٓؤُاْ :

ومنه قوله تعالى في شأن أهل النار، وهم يعانون الويل والثبور من عذابها:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾

(غافر: ٤٩، ٥٠)

زيدت «الواو» في قوله تعالى، حاكيا قول الملائكة في كلمة ﴿دُعَـٰٓؤُاْ﴾ والأصل أن تكتب هكذا: دعاء بالهمزة المضمومة.

والذي اقتضى هذه الزيادة الدلالة اللطيفة على كثرة دعاء أهل النار، وصياحهم الذي لا ينقطع طامعين أن يفرج الله عنهم.

وقد صور القرآن دعاء أهل النار في صورة الصياح والاصطراخ، جاء ذلك في قوله - جل وعلا-.

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾

(فاطر: ٣٧)

إن كلمة «يصطرخون» توحي بظلال كثيفة من الجعجعة والصياح والعويل الذي لا يتوقف ـ بما في هذه الكلمة «يصطرخون» من جرس مدوٍّ، وصخب عالٍ.

وكانت زيادة «الواو» في ﴿دُعَـٰٓؤُاْ﴾ هي اللافتة إلى هذه الدقائق والأسرار.

ومما يجلي هذا ويؤكده أن هذه العبارة متضمنة كلمة «دعاء» جاءت في موضع آخر من القرآن المعجز بكل ما فيه من مفردات وتراكيب ورسم خطيٍّ وليس منها واو زائدة، ترى ذلك في قوله تعالى:

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾

(الرعد: ١٤)

إن العبارة هي هي في السورتين:

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾

(غافر: ٥٠)

وليس بين ورودها في الموضعين أي اختلاف إلا زيادة «الواو» في آية سورة غافر، وترك زيادتها في آية سورة الرعد.

وهذا يثير سؤالا مهما:

لماذا زيدت «الواو» في آية غافر، ولم تزد في آية سورة الرعد؟

والجواب الكافي الشافي: زيدت في غافر لإفادة التهويل؛ لأن الكافرين فيها يدعون رهبة ورغبة: رهبة من شدة العذاب الذي هم فيه، ورغبة في تخفيف الله عنهم يوما من ذلك العذاب المؤلم.

أما في سورة الرعد فالكافرون يدعون أصنامهم رغبة في حصول النفع، وهم حين يدعونهم يرفلون في نعم الدنيا،

وليس لديهم أدنى إحساس بأي عذاب ؛ فدعاؤهم هادئ فاتر رخو ، أما ﴿دُعَـٰٓؤُاْ﴾ أهل النار فهو دعاء مصبوغ بالآلام ؛ لذلك هوّل بزيادة «الواو» فيه .

وأمامنا مثل آخر يؤكد - إلى درجة اليقين - أن خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف إنما هي أدوات تعبير صامتة ناطقة تدل على معانٍ مقصودة قصدا ، وليس هي من اختلافات كتبة الوحي في رسم الكلمات حتي تأتي كلمة أو كلمات فيه برسم ، وأخرى مماثلة للأولى برسم آخر جارية على وجهات النظر المختلفة لكتبة الوحي .

هذه النظرية ينبغي أن تزول من الأذهان ، وعلاوة على ما تقدم نسوق أمثلة أخرى من الكلمات التي لم تأت مخالفة للرسم الإملائي الحديث فحسب بل جاء رسمها في المصحف على صورتين مختلفتين ، وهذا هو البيان :

بَلَآءٌ :

كلمة ﴿بَلَآءٌ﴾ وردت في القرآن مرسومة كما ترسم في الخط الإملائي الحديث هكذا «بلاء» بهمزة مضمومة بعد الألف ، وهذا هو الأكثر في لغة القرآن ، ومنه الآيات الآتية :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾
(البقرة : ٤٩)

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

(الأعراف : ١٤١)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

(إبراهيم : ٦)

كلمة «بلاء» في المواضع الثلاثة كما ترسم في الخط الإملائي، ويلاحظ أن قوله تعالى:

﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

في الآيات الثلاثة جاء تعقيبا على أحداث واحدة هي صور اضطهاد آل فرعون لبني إسرائيل في مصر، ثم انظر إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾

(الصافات : ١٠٦)

فقد رسمت فيه كلمة ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟﴾ مزيدة بـ «الواو» المضمومة تحت الهمزة وهذا يتولد عنه سؤال لحوح: لماذا زيدت «الواو» في آية الصافات ولم تزد من قبل في آيات: البقرة والأعراف وآية إبراهيم؟

هل هذا يرجع إلى اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم الكلمـات فيكون الذي كتب آية إبراهيم والأعراف والبقرة غير الذي كتب آية الصافات ؟ وهل هذا الاختلاف في الرسم خالٍ من الدلالة ؟

والجـواب : كلا ثم ألف كلا ، وإنما زيـدت «الواو» في كلمة ﴿ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ﴾ فـي آية الصافات لأنه أشـد وقعا بكثيـر من البلاء في الآيـات الثلاث ، فالبلاء في الآيات الثلاث كان حاصلا بالفظائع التـي ارتكبهـا آل فرعـون مع بني إسـرائيل من سـومهم سـوء العـذاب ، وتذبيح ذكورهم ، واسـتحياء إناثهـم ، إنه بلاء عظيم حقا .

أمـا ﴿ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ﴾ فـي آية الصافـات فهو أعظم وأشـق من البلاء الـذي كان واقعا على بني إسـرائيل من آل فرعـون ؛ لأن الله أمر إبراهيـم عليه السلام أن يذبح ابنه الوحيد الذي رزقه الله إياه بعد شـوق طويـل ، وهذا تكليف شـاق لا عهـد للناس بـه ، وإبراهيم عليه السلام لم يكن قاسـي القلب جاف المشـاعر حتى يسـهل عليه سفك الدماء ، بل هو كما وصفه ربه :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾

(هود : ٧٥)

فكيف لرجل هذا وصفه أن يجرؤ ويمسك المدية ويضطجع فلذة كبده ، ويحز رقبته ؟

لذلـك كان ﴿ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ﴾ الـذي حملـه الله إيـاه أعظـم وأثقـل

عشــرات المــرات من البــلاء الــذي رزح تحته بنو إســرائيل في مصر.

لذلك زيدت «الواو» فيه ولم تزد في بلاء بني إسرائيل.

للدلالة علي أن ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ إبراهيم أشد ألما وأقسى وقعا على النفس.

كلاهما اختبار عظيم، لكــن اختبار الله لإبراهيم بذبح وليده الحبيب أعظم من تذبيح فرعون أبناء بني إسرائيل.

وإلى هذا رمــزت زيادة «الواو» في كلمة ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ في كتاب الله المعجز بكل شيء فيه.

ومثل آية الصافات قوله - جل ثناؤه -:

﴿وَءَاتَيۡنَـٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤُاْ مُّبِينٌ﴾

(الدخان: ٣٣)

الحديــث في هذه الآية عن بني إســرائيل وفــي إجمال حكيم لــكل ما ابتلى الله به بني إســرائيل في التاريــخ النبوي كله، وفي كل مراحل حياتهــم ومواطنهم التي مروا بها، ولما كانت كلمة ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ في الآية تشمل كل الأحداث التي مر بها بنو إسرائيل من وقــت خروجهم من مصر حتى وقت الرســالة الخاتمة، فخم رسمها فزيدت فيها «الواو» رامزة إلى تلك الوقائع العظيمة مثل:

- ابتلاع عصى موسى ألاعيب سحرة فرعون.
- انفــلاق البحر أمامهم اثني عشــرة فرقــا كل فرق كالطود العظيم.

- إخراج الماء من الحجر اثنتي عشرة عينا .
- إنزال المن والسلوى من السماء لهم .
- ارتفاع الجبل «طور سيناء» فوقهم كأنه ظلة .
- إنجاؤهم من آل فرعون .
- تجلي الله للجبل أمام رسولهم موسى عليه السلام .
- إغراق فرعون وملئه في البحر .

من أجل هذا زيدت «الواو» في ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ ولم تزد اعتباطا كما ترى .

هذا وبقيت كلمات أخرى زيدت فيها «الواو» في رسم المصحف الشريف في مواضع ، ولم تزد في أخرى ، مثل :
﴿ٱلْمَلَأُ﴾ / ﴿شُرَكَآءُ﴾ / ﴿شُفَعَآءَ﴾ / ﴿ٱلْمَلَؤُاْ﴾ / ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ / ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ .

نكتفي بمجرد هذه الإشارة إليها خشية الإطالة ، ولن يعجز القارئ عن توجيه الزيادة فيها بعد الذي أوضحناه ، ونرجو أن يكون فيه بلاغ لقوم يعلمون .

الفهرس

تقديم..٣
هذا الكتاب ١١
تمهيد..١٣

القسم الأول:

خصوصيات حاصلة برموز موضوعة فوق بنية الكلمة ٣٠

علامات الوقف ٣٠
العلامة الأولى (ج) ٣١
العلامة الثانية (صلى) ٣٣
العلامة الثالثة (قلى)...٣٧
العلامة الرابعة (∴) ٤٠
العلامة الخامسة (لا)..٤٢
العلامة السادسة (مـ) ٤٥

القسم الثاني:

خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة...............................٤٩
حذف وزيادة الواو ٤٩
زيادة الواو في وسط الأسماء ٧٢
زيادة الواو في أواخر الأسماء.......................................١٠٨

لطائف وأسرار
خصوصيات الرسم العثماني
للمصحف الشريف

تأليف
الدكتور/ عبد العظيم المطعني
أستاذ الدراسات العليا
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الجزء الثاني



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

ب- زيادة ونقص الياء

١- زيادة الياء

باستقراء كلمات القرآن الكريم ؛ لم تأت (الياء) زائدة إلا في تسعة مواضع وكلها أسماء لا أفعال فيها.

وكل موضع منها لم تأت الزيادة فيه خالية من الدلالة على اللطائف والأسرار التي عرفنا الكثير منها في نقص الواو أو حذفه، وقبل الدخول في التفاصيل نشير إلى أن القدماء بعد ذكرهم للمواضع التسعة، التي زيدت فيها الياء، لم يبينوا ما في كل موضع من اللطائف، بل اكتفوا بالنص على بعض منها، وسكتوا في بعض آخر[١]، وها نحن أولا نذكر مواضع زيادة (الياء) حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، وعلى هدى ما ذكروه من قواعد عامة نتلطف في اقتناص لطائف ما سكتوا عنه، ومن الله التوفيق والسداد.

الموضع الأول:

قال تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣٨٦).

فقــد جاء (الياء) مزيدًا بين الهمــزة الثانية وبين حرف (النون) وهي في الرســم الخطــي العام ترســم هكذا «إن» وهي أداة الشــرط المعروفة.

أمــا الهمــزة الأولــى فــي ﴿ أَفَإِيْن ﴾ فهــي همــزة الاســتفهام الإنكاري[٢].

وكان الأصل أن يقال: «فأَإن» فالفاء حرف عطف والهمزة بعدها للاســتفهام، ولما كانت أدوات الاســتفهام لها الصدارة في الكلام، قُدمت همزته هنا على الفاء ليصبح التركيب هكذا «أفإين»[٣].

أما لماذا زيدت (الياء) هنا؟ فإن حاصل ما ذكروه في توجيه هذه الزيادة هو الأصل في أساليب الشرط، وهو ترتب الجواب على فعل الشرط في الوجود؛ لأن بين الشرط وجوابه رابطة السببية.

مثال ذلك «إذا» في قوله تعالى:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾

(النصر: ١ – ٣)

فعــل الشــرط هنا هو «جاء نصــر الله» وما عطف عليــه «والفتح، ورأيت الناس».

---

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي (٣/٤١٦).

(٣) المرجع السابق.

أمـا جواب الشـرط فهو «فسـبح بحمـد ربك» ومـا عُطف عليه «واستغفره».

ومثاله «إن» في قوله تعالى:

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

(التوبة: ٥)

فعل الشرط في الآية الكريمة هو «تابوا» وما عُطف عليه: «وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة»، وجواب الشرط هو: «فخلوا سبيلهم».

هذا هو الأصل في أساليب الشرط جميعًا.

وإذا تأملنا الشرط والجواب في قوله تعالى:

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

يظهر لنا بوضوح أن جواب الشـرط، وهو «انقلبتم» لا يصلح أن يكون في ميزان الصواب جوابًا مُرضيًا لفعل الشرط، بل هو إذا وقع من المخاطبين يكون خطأ شـنيعًا؛ لأن موت الرسول ﷺ أو قتله لا يكون سـببًا في الكفر بالله - عز وجل - ولذلك سلط عليه استفهام الإنكار والتوبيخ لأن المطلوب من المؤمنين الثبات على الإيمان في حياة الرسل، وبعد انتهاء حياتهم.

ومـن أجل التنبيه على هذا المعنى زيدت (الياء) في ﴿أَفَإِيْن﴾ لتلفـت الأذهـان: إلى أن رابطـة السـببية التي تدل عليها أسـاليب الشرط، معدومة في هذا التركيب.

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾

وقد زيد هذا المعنى قوة بقوله:

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾

فزيادة (الياء) لمحة آسرة من لمحات الإعجاز القرآني تعنو لها الجباه.

وفيها – فوق ذلك – رد مفحم لهواة المعارضة – لمجرد المعارضة – الذين يزعمون خلو خصوصيات الرسم المصحفي الشريف من الدلالة على أي معنى.

الموضع الثاني:

قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٤)(٤)

هذه الآية نظيرة الآية السابقة عليها، والشاهد هناك هو الشاهد هنا، وهو زيادة (الياء) بين همزة «إن» الشرطية وبين نونها.

وإذا دقق القارئ النظر بين موضعي زيادة (الياء) في الآيتين، ظهر له أن السر في هذه الزيادة واحد وما يقال في أحدهما يقال في الآخر.

وقد تقدم أن المعنى اللطيف المراد من زيادة (الياء) في:

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾

(٤) قدمنا هذه الآية عن موضعها حسب ترتيب المصحف، لقوة صلتها بآية آل عمران.

هو الرمز إلى أن «انقلبتم» لا يصلح أن يكون جوابًا لفعل الشرط «مات أو قتل».

فهو وإن وقع جوابًا للشرط في اللفظ والتركيب، فليس هو جوابًا للشرط في المعنى، يعني أن رابطه السببية؛ والسببية معدومة بين الجزءين هنا.

وهذا هو المراد من زيادة (الياء) في هذه الآية.

والمعنى: ليس موتك يا محمد ﷺ سببًا في تخليدنا إياهم.

أي: ليسوا هم بخالدين أبدًا، سواء مت أنت أو حييت.

وهكذا يبدو - بكل قوة - أن زيادة (الياء) في الموضعين، تشير إلى معنى لطيف شريف، من أجل ذلك زيدت (الياء)، ومحال أن يكون في كتاب الله العزيز شيء زائد في اللفظ وليس له معنى يدل عليه.

الموضع الثالث:

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

(الأنعام: ٣٤)

الخصوصية التي في هذه الآية، هي زيادة (الياء) من كلمة ﴿نَّبَإِى۟﴾ وهي في الرسم العام تكتب هكذا: «نبأ» ولم أعثر على توجيه هذه الزيادة عند القدماء، علمًا بأنهم نصوا صراحة على أن (الياء) فيها مزيدة.

وبناء على ما وقفنا عليه من قواعدهم في الزيادة والحذف، وبمعونة قرائن الأحوال، ودلالة المقام الواردة في هذه الكلمة، نطمئن إلى القول بأن هذه الزيادة رمز إلى «تفخيم ما زيدت فيه» وهو ﴿ نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

●● وعلى هذا فإن التفخيم والتعظيم لقصص المرسلين يُفهم من ثلاث جهات هي:

الأولى: التعبير بكلمة «نبأ» دون الخبر؛ لأن النبأ هو الخبر العظيم[٥].

الثانية: زيادة (الياء) وهي من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

الثالثة: إضافة «نبأ» لـ «المرسلين».

الموضع الرابع:

قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(يونس: ١٥)

الشاهد في هذه الآية زيادة (الياء) في كلمة ﴿تِلْقَآئِ ﴾ ورسمها الإملائي الحديث هكذا: «تلقاء».

---

(٥) مفردات الراغب (مادة: نبأ).

ولم يوجه القدماء زيادة (الياء) فيها، مع ذكرهم إياها في مواضع زيادة (الياء).

والمتبادر إلى الفهم أن زيادة (الياء) فيها لتأكيد النفي.

● بيان ذلك:

أن الذين لا يرجون لقاء الله – عز وجل – طلبوا من الرسول ﷺ واحدًا من أمرين:

إما أن يلغي القرآن كله، ويأتي بقرآن آخر مغاير له تمامًا، وإما أن يحدث فيه تعديلات وتغييرات.

فأمر الله رسوله الكريم ﷺ أن يقول لهم:

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾

نافيًا أن يصدر هذا عنه فزيدت (الياء) في حيز النفي للدلالة على استبعاد ما طلبوه منه واستنكاره.

فزيادة (الياء) قائمة مقام النبر في كلمة «أنا» أو كلمة «أنت»، إذا وقعتا في مقام الإنكار، وهذا مسموح به حتى في كلام العامة.

فإذا نسب إلى شخص أمر لم يفعله، أو قول لم يقله، فإنه يقول في الرد:

أنا فعلت هذا؟ أو: أنا قلت هذا؟ نابرًا كلمة «أنا» لتأكيد النفي.

وكذلك يُقال في الرد على من ادعى أمرًا هو لم يقم به: أنت فعلت كذا؟ أو: أنت قلت كذا؟ نابرًا كلمة «أنت» تأكيدًا للإنكار على المخاطب، وهكذا – والعلم لله – أمر الله رسوله ﷺ أن يغلظ عليهم في الرد، وأن يؤكد لهم أنه ليس أهلا لأن يأتي بقرآن غير الذي أنزله الله عليه، وليس أهلا لأن يُحدث فيه

أي تغييــر ، وإنما هو متبع لما أُوحي إليه ، بريء من معصية رب العالمين .

الموضع الخامس:

قال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل : ٩٠)

والشاهد في هذه الآية زيادة (الياء) في كلمة ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾ وهي في الرسم الخطي العام : «إيتاء» .

والذي تركن إليــه النفس ، ويطمئن إليه القلب أن (الياء) زيدت هنــا للحث علــى المبالغة في العطاء لمســتحقيه مــن ذوي القرابة ، وإطلاق اليد في البر والإحســان حتى لكأن (الياء) تمديد وتوســيع لدائرة الإنفاق الواجب والمستحب .

هذا التمديد والتوســيع يُفهــم من الإيحاء اللطيف ، من توســيع وامتداد المساحة التي شغلتها الكلمة ، بسبب زيادة هذه (الياء) .

وفيهــا معنى دقيق آخر ، هو أن يســعى ذوو الفضل بعطاياهم إلى مــن يعلمون أنهــم في حاجة إلى مــد يد العون والمواســاة ، بدلا من انتظارهم .

ولا ريب أن الساعي بالخير إلى مستحقيه أزكى عند الله من الذي يســعى إليــه ذوو الحاجات ؛ لأن في ذلك إحراجًــا لهم ، وفيه كذلك شيئًا من الإذلال .

الموضع السادس:

قال تعالى:

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾

(طه: ١٣٠)

شاهدنا في هذه الآية الكريمة، زيادة (الياء) في كلمة ﴿ءَانَآيِٕ ﴾ وهي في الرسم الحديث: «آناء».

ولم يوجه القدماء كذلك الزيادة في هذه الآية.

والأمر فيها يسير، ولهذه الزيادة نظائر تقدمت تهدينا إلى اقتناص السر فيها بعون الله.

والذي يبدو مقبولا أن زيادة (الياء) في كلمة ﴿ءَانَآيِٕ ﴾ رمز إلى معنى الامتداد والطول في الزمان، وهو المدلول عليه بـ﴿ءَانَآيِٕ ﴾ وليس المراد طول الزمن في نفسه، بل المراد كثرة ما يقع فيه من ذكر الله والتسبيح بحمده.

وهذا يسمى عند البيانيين كناية لطيفة، والذي يدل على هذا توزيع التسبيح بحمد الله على أوقات ممتدة عبر رحلتي الليل والنهار، وهي:

- قبل طلوع الشمس.
- قبل غروب الشمس.
- آناء الليل.
- أطراف النهار.

وبهذا صار التسبيح بحمد الله مستوعبًا لوقت المؤمن إلا سويعات

الهجوع ليلا وصلب النهار وهو وقت السعي لتحصيل الرزق.

وتوجيــه الكناية فيه، هو الإيمــاء إلى طول الزمن لا من حيث إنه زمن، بل من حيث طول ما يقع فيه من ذكر الله - عز وجل - .

الموضع السابع:

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾

(الشورى: ٥١)

الشاهد هو كلمة ﴿ وَرَآيِٕ ﴾ حيث زيد فيها (الياء) والأصل فيها عدم الزيادة «وراء».

وقد وردت على الأصل بدون زيادة في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

وهذا يثير سؤالا ذا أهمية قصوى فحواه:

لماذا زيد (الياء) في كلمة ﴿ وَرَآءِ ﴾ في سورة الشورى، ولم تزد فيها في سورة الأحزاب؟

القدمــاء تركــوا هذه الزيادة في ســورة الشــورى بــلا توجيه، مع النــص الصريــح عليها فــي مواضع زيــادة (الياء) فــي خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف، وليس معنى هذا أنها تخلو من الدلالة، والمقارنة بين الموضعين تُســهم إلى حد كبير في الكشف عن السر اللطيف، الكامن وراء تلك الزيادة إذ كل من كلمتي «وراء» فــي الآيتين أضيفت إلى كلمة «حجاب» فلمــاذا كانت آية الأحزاب

خالية من زيادة (الياء) في كلمة «وراء» ؟ وآية الشورى فيها (الياء) ؟

إن الفروق بين الموضوعين جد واضحة ، وهي التي اقتضت زيادة (الياء) في آية الشورى وعدم الزيادة في آية الأحزاب ، فالحجاب في آية الأحزاب حجاب مادي محسوس ، وهو كل ساتر حسي يحول دون رؤية النساء وهن في بيوتهن إذا طرق الباب رجال أجانب عنهن .

أدب الإِسلام في هذه الحالة هو أن تتوارى المسلمة خلف أي ساتر لا يمكِّن المتحدث معها من وقوع بصره على شيء من محاسنها .

أما الحجاب في آية الشورى ، فهو حجاب معنوي معقول لا يُرى ببصر ، ولا يُلمس بيد .

والحجاب في آية الأحزاب يمكن اختراقه والاحتيال عليه ، لولا الوازع الديني والالتزام الخلقي .

أما الحجاب في آية الشورى فهو محكم قوي متين ، لا يمكن اختراقه ، أو الاحتيال عليه ، إذ إن رؤية الله في الحياة الدنيا مستحيلة الوقوع ؛ لذلك - والله أعلم - زيدت (الياء) في آية الشورى للرمز على أن الحجاب المضروب بين الله وبين خلقه في الحياة الدنيا حجاب عظيم الشأن لا يمكن إزالته على الإِطلاق .

وهو الحجاب الذي جعل رسول الله موسى عليه السلام يخر صعقًا حين تجلى ربه للجبل .

فليتأمل دعاة المعارضة هذه الدقائق الآسرة الساحرة ، التي ترمز إليها «خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف» حتى يتبين الصبح لذي عينين .

الموضع الثامن:

قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الذاريات: ٤٧)

والشاهد في الآية زيادة (الياء) في قوله تعالى:

﴿بِأَيْيْدٍ﴾

وهي في الرسم الإملائي الحديث هكذا:

(بأيد)، بياء واحدة، وقد وجه القدماء هذه الزيادة.

قال أبو العباس المراكشي:

«إنما كتبت ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ بياءين فرقا بين (الأيد) الذي هو القوة، وبين (الأيد: جمع يد)، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت (الياء) لاختصاص (هذه) اللفظة، بمعنى أظهر في إدراك الملكوت في الوجود»[٦]

فأنت ترى أن زيادة (الياء) هنا جُلبت لمعنى، ورمزت إلى لطيفة من لطائف كتاب الله العزيز.

وقد يعبر عن هذه اللطيفة فيقال:

إن زيادة (الياء) في هذه الكلمة للتفرقة بين اليد الحسية «الجارحة» وبين «اليد» بمعنى القوة المعنوية.

وقد جُمعت هكذا﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ ولم تأت مفردة: (بيد) مرادا من الجمع تفخيم شأن تلك القوة؛ لأنها قوة الله التي لا تُحد.

---

(٦) البرهان في علوم القرآن (١/٣٨٧).

الموضع التاسع:

قال تعالى:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾

(القلم: ٥، ٦)

هذا هو الموضع الأخير من المواضع التي زيدت فيها (الياء) في كلمات من القرآن الكريم.

والشاهد في الآية الثانية هو زيادة (الياء) في ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ وخلاصة ما قاله الأقدمون في توجيه هذه الزيادة أنها رمز إلى اختصاصهم هم بالفتنة دون رسوله الكريم ﷺ.

ولم يبينوا بوضوح دليل هذا الاختصاص، والذي لاح لنا أن في الآية الخامسة من السورة نفسها ورد فيها قوله تعالى:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾

في هذه الآية ذكر ضميران فاعلان:

الأول: ضمير مستتر تقديره: أنت، مخاطبًا به رسول الله ﷺ.

الثاني: ضمير ظاهر متصل، وهو «واو» الجماعة الغائبين، يعود على مشركي العرب في عصر نزول القرآن الكريم.

وفي الآية السادسة:

﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾

ذُكر ياءان أحدهما بعد الآخر، فإذا جعلنا هذين الياءين كنايتين عن الضميرين المذكورين قبلهما، كان الياء الأول رمزًا إلى ضمير الرسول ﷺ في الآية الخامسة، وكان الياء الثاني رمزًا إلى ضمير المشركين، وإذا نظرنا إلى ترتيب هذين الياءين وجدنا الياء الثاني

الذي هـو رمز ضمير المشـركين هو المجاور للفتنـة المفهومة من كلمة «المفتون».

- وهـذا - والله أعلم بسـر كتابـه - ملمح ذكي وقـوي يفيد في الوقت نفسه قرب المشركين وقوة صلتهم بالفتنة والضلال.

إذن، ففـي زيـادة (الياء) في هذه المواضع التسـعة من اللطائف والأسـرار ما يدعو إلـى زيادة البحث وجديته، فـي كل خصوصيات الرسـم العثماني للمصحف الشـريف، ومعالجـة المواضع التي لم يوجه الأقدمون سر الخصوصيات فيها، وهي كثيرة في آيات الكتاب العزيـز، لا تكاد تخلو منها كل سـورة من سـوره جميعًـا وكثيرًا ما يكون في رسم الكلمة الواحدة خصوصيتان أو أكثر.

٢- نقص الياء (حذف الياء)

هذا النقص له فصائل وتنوعات:

فمنه نوع يسقط فيه (الياء) في الخط وفي النطق، ومنه نوع يسقط فيه (الياء) في الخط دون النطق.

و(الياء) المحذوف إما ضمير المتكلم، وإما لام الكلمة (آخر حرف في الكلمة حسب الميزان الصرفي)[٧].

ومنه ما يكون في الأسماء وهو كثير كثرة مستفيضة، ومنه ما يكون في الأفعال.

والياء المحذوف إما مجرور محلاً بالإضافة، وإما مفعول به.

والأول: خاص بالأسماء، والثاني: خاص بالأفعال.

وسيأتي التمثيل لكل هذه الفصائل والتنوعات – بإذن الله – مع الإشارة إلى المعاني والأسرار التي يدل عليها النقص في كل موضع.

أ- الحذف في الأفعال:

١ – قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾

(النمل: ٣٦)

حُذفت (الياء) في هذه الآية في موضعين:

---

(٧) الميزان يرمز إليه في أشهر صوره بالأحرف الثلاثة: الفاء والعين واللام (فعل) ويسمى الحرف الأول من الكلمة الثلاثية وما ألحق بها: فاء الكلمة والثاني عين الكلمة والثالث لام الكلمة، فالفعل «نصر» مثلًا فاؤها النون وعينها الصاد وراؤها اللام وهذا الميزان يوزن به الأسماء والأفعال دون أدوات المعاني مثل: حتى - أو - في - على...إلخ.

الأول: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ ﴾، والثاني: ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾.

حذف (الياء) في الموضعين لم يكن لعلة صرفية، ولا لعلة نحوية بل هو رمز لمعنى يدل عليه، وفي كلا الموضعين كان (الياء) ضميرًا مفعولاً به للفعل قبله.

والمعنى الذي رُمز إليه بحذف (الياء) في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ ﴾، الإشارة إلى ما كان يدور في باطن سليمان عليه السلام من استبعاد نفسه عن زُمرة من يرتشي بالمال. بدليل أن الاستفهام في الآية إنكاري توبيخي شديد الإنكار (٨).

أما حذف (الياء) في الموضع الثاني ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾ فإن هذا الحذف رمز به للتفرقة بين ما آتى الله رسوله سليمان عليه السلام، وبين ما آتاه الله ملكة سبأ:

فالذي آتاه الله سليمان هو الحكم والكتاب والنبوة، والذي آتاه الله ملكة سبأ هو المال والسلطان الدنيوي.

فعطاء الله سليمان في الفضل في الذروة العليا، وباق، بالإضافة إلى العلو والرفعة في درجات الآخرة.

وعطاء الله ملكة سبأ سلطان زائل، ومال نافد لا بقاء له، وتبعته في الآخرة ثقيلة والحساب فيه عسير.

هذا ما دل عليه نقص (الياء) في ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾

إنها معان أرق من النسيم، وأسرع لمحًا من البرق.

٢- قول الله تعالى لنوح عليه السلام:

---

(٨) ضابط الاستفهام الإنكاري أن ما دخلت عليه أداة الاستفهام منفيًا أو موجودًا لكنه كان لا ينبغي ألا يوجد.

﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

(هود : ٤٦)

هـذه الآية توجيه من الله لرسـوله نوح ، حين نـاداه نوح قائلاً لما رأى ابنه هالكًا مع الهالكين :

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

(هود : ٤٥)

توسـل نوح إلى الله في شـأن ابنـه بصلة القرابة النسـبية ، فجاءه الـرد مـن الله بإلغاء هذه الصلة ؛ لأن كفر ابـن نوح قطع ما بينه وبين أبيه ، فهذا رسـول مؤمن ، وذاك كافر عنيد ، والأنسـاب مهما قربت وتلاصقـت ، فـلا وزن لهـا عنـد الله ، وإنما الفضـل - كل الفضل - للإيمان والتقوى والعمل الصالح .

والشاهد في الآية الكريمة ، هو حذف (الياء) من الفعل ﴿تَسۡـَٔلۡنِ﴾ وهو حذف الخط دون النطق ، والياء المحذوف هنا ضمير المتكلم ، مفعول به للفعل قبله .

هذا الحذف لم يكن لعلة نحوية ولا لعلة صرفية .

● إنما هو رمز لمعنى لطيف ، وسر حفيف ، ذلك المعنى هو :

أن المسـئول عنه أمر غيبي من شئون الله - عز وجل - لأن ما في صدور العباد لا يعلمه إلا الله وحده ، وتأكيدًا لهذا المعنى قوله تعالى لنوح في الآية نفسها :

﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

ثم تسمية مثل هذا السؤال جهلا :

﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

ويؤكد هذا المعنى اللطيف، المرموز إليه بحذف (الياء) في ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ ﴾ مجيء (الياء) في نظير هذا الفعل، في قول العبد الصالح لموسى عليه السلام.

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

(الكهف: ٧٠)

ثبت (الياء) هنا، ولم يحذف كما حذف في آية «هود» الآنفة الذكر، للفرق بين المسئول عنه في الموضعين، فالمسئول عنه في آية «هود» كان شأنًا غيبيًا من الشئون التي لا يحيط بها علمًا إلا الله.

والمسئول عنه في آية «الكهف» هو وقائع محسوسة لها صورة مادية في الوجود، إذ هي:

- قتل الغلام - خرق السفينة - إقامة الجدار.

ومحال أن يكون مجيء الفعلين في السورتين، على صورتين مختلفتين عبثًا خاليًا من الدلالة، ذلك ظن قصيري النظر من الناس، فخصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف مفعمة بالإيحاءات الصادقة، ولا يخلو موضع واحد منها من هذه الدلالات المشعة بلطيف المعاني، ودقائق الأسرار.

٣- وكذلك قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾

(آل عمران: ٢٠)

الشاهد في هذه الآية حذف (الياء) في الفعل﴿ ٱتَّبَعَنِ ﴾ وقد رمز بهذا الحذف للدلالة على أن المراد من الاتباع في الآية هو الاتباع في «العقيدة» أي الاتباع المعنوي لا الحسي.

ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية بقليل:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(آل عمران: ١٨)

فقد ذكرت عقيدة التوحيد في هذه الآية مرتين، ويدل عليه كذلك قوله تعالى في الآية نفسها:

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾

والإسلام الموجه لله كناية عن قوة الإيمان بالله.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران: ٣١)

ثبت (الياء) هنا؛ لأن المراد من الاتباع هو الاقتداء بالرسول ﷺ في العمل الحسي بالجوارح، أي الإتيان بالتكاليف التي أمر الله بها، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والجهاد في سبيل الله.

ومثل الآية في حذف (الياء) قوله تعالى حكاية لقول موسى لأخيه هارون - عليهما السلام -:

﴿ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾
(طه: ٩٢ ، ٩٣)

ضلال بني إسرائيل المذكور في الآية ضلال في العقيدة حيث اتخذوا العجل إلهًا من دون الله، لذلك كان الاتباع الذي كان يرجوه موسى من هارون – عليهما السلام – هو حملهم على عقيدة التوحيد؛ لأن هارون لم يسلك مسلكهم في الإيمان بالعجل إلهًا مع الله، أو من دون الله.

أما قول هارون عليه السلام لبني إسرائيل:

﴿ يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾
(طه: ٩٠)

فقد ثبت فيه (الياء): ﴿ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ ولم يحذف لأنه أراد الاتباع في عبادة الله –عز وجل – والعبادة صورة محسوسة.

يؤيد هذا المعنى قول بني إسرائيل في الرد على هارون في الآية التالية لهذه الآية مباشرة:

﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾
(طه: ٩١)

والعكوف هو العبادة الظاهرة.[٩]

(٩) العكوف في اللغة هو اللزوم والمراد منه في الآية لزوم بني إسرائيل عبادتهم للعجل وقد ورد العكوف في لغة القرآن بمعنى لزوم العبادة عدة مرات منها قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمۡ عَـٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَـٰجِدِ ﴾.(البقرة: ١٨٧)

٤- وقوله - عز وجل - حكاية عن إبليس :

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الإسراء : ٦٢)

الشاهد في هذه الآية هو حذف (الياء) في الفعل ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ والقياس أن يثبت : أخرتني، وقد عُورض هذا القياس، وحذف (الياء) للرمز بهذا الحذف على معنى دقيق.

هو أن المراد هنا التأخير المعنوي بترك مؤاخذة إبليس على عصيانه لله- عز وجل - حيث أبى أن يسجد كما أمره تكريما مأذونا فيه من الله لآدم، وليس المراد التأخير الحسي الظاهر، إنما هو إظهار الرغبة في تأخير العقوبة، وهذا أمر معنوي عقلي غير محسوس في الوجود الظاهر.

من النماذج التي تقدمت يبدو جليا أن حذف (الياء) يرمز به إلى الدلالات المعنوية والغيبية، وقد تأكد هذا من المقارنة بين ما حذف منه (الياء) وبين نظائره التي أثبت فيها (الياء) أصالة، مع اطراد دلالة هذا الإثبات على المعاني المادية الحسية، الظاهرة في الوجود.

وقد يأتي حذف (الياء) للدلالة على معنى لطيف غير ما تقدم نذكره إذا يسر الله الأمر، بعد سوق أمثلة أخرى قد تكون «فردية» في آي الكتاب العزيز ليس لها نظائر جاء (الياء) فيها مثبتا.

٥- من ذلك قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين الكافر وجاره الفقير المؤمن :

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾

(الكهف : ٤٠)

هذا قول الجار المؤمن الفقير لصاحبه الكافر الغني، حين فاخره بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا، إنه يزهو عليه بحظوظه من الدنيا، ولا أمل له في غيرها.

فجاء رد صاحبه المؤمن الفقير يحمل هذا المعنى الكبير:

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾

(الكهف : ٣٩، ٤٠)

وقد حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿ يُؤۡتِيَنِ ﴾ مستعاضا عنه بالكسرة رامزا إلى معنى لطيف رقيق، ذلك المعنى أن الرجل المؤمن الفقير لا يرجو من الله حطام الدنيا الفاني وإنما يطلب منه نعيمه الأخروي الدائم، وهو نعيم غيبي في علم الله، لا يحيط به أحد سواه، ولو أراد حطام الدنيا لأثبت الياء ولم يحذف.

وقد بقي (الياء) ولم يحذف في نظير هذا الفعل في قوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(المنافقون : ١٠)

الشاهد في الآية هو إثبات (الياء) في الفعل ﴿أَخَّرۡتَنِ ﴾ وهذا هو الأصل فلا يُسأل عنه، وإنما الذي يُسأل عنه هو لِمَ ثبت على

الأصل ولَمْ يحذف كما حذف في آية «الإسراء» المذكورة قبلا؟!

والجواب: كان الحذف في آية الإسراء للدلالة على معنوية التأخير.

ولـم يحذف هنا لأن المراد من ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ هو التأخير الحسـي بتأجيـل الموت إلى وقت آخـر غير الوقت الذي حضـر فيه الموت لقائل هذا الكلام، فحذف (الياء) مع التأخير المعنوي، وثبت على الأصل مع التأخير المادي الظاهر المحسوس.

واليـاءات التي اعتراها الحذف والإثبات فـي جميع الأمثلة التي تقدم ذكرها ضمائر متكلمين، وموقعها من الإعراب مفعول به.

٦- وقوله- عز وجل - معلما خاتم النبيين:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

(الكهف: ٢٤)

والشـاهد في هذه الآية، هـو حذف (الياء) مـن الفعل المضارع ﴿يَهْدِيَنِ﴾ والـذي اقتضـي حذفـه هنا، وهـو الذي مـر ذكره في الشـواهد السـابقة، وهو الرمز إلى أن المراد من الهداية أمر معنوي لا مادي محسوس.

والدليل على ذلك في الآية نفسها قوله تعالى:

﴿إِذَا نَسِيتَ﴾

والنسـيان كيفيـة نفسـية لا صـورة مـن صـور الوجـود المادي المحسوس، وكذلك الهداية بمعنى التذكر بعد النسيان أمر معنوي لا مـادي محسـوس، قـارن هـذا الموضع بقولـه تعالـى حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (القصص : ٢٢)

جاء الفعل هنا :﴿ يَهْدِيَنِي ﴾ بإثبات الياء.

فلماذا لم يحذف كما حذف في نظير هذا الفعل في آية (الكهف) ؟

والجواب : أن الهداية هنا هداية حسية، فموسى عليه السلام لما خرج من مصر خائفا يترقب، بعد أن علم أن الملأ يتربصون به ليقتلوه، رجا ربه أن يبصره بأيسر الطرق الموصلة إلى مدين ؛ إذن فهي هداية حسية ظاهرة، لا معنوية مستترة.

والياء في الموضعين ضميرا متكلمَيْن : محمد وموسى - صلى الله عليهما وسلم - وكلاهما مفعول به للهداية، أو الفعل الدال عليها، ولولا هذه اللطائف والأسرار لجاء رسم هذه الكلمات جميعا بإثبات (الياء)، ولما حذف (الياء) مما حذف منه، ومحال أن يسوى بين دلالتي الإثبات والحذف ؛ لأن ذلك يؤدي إلى محظور في قدسية كتاب الله العزيز.

٧- وحذف (الياء) كذلك في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يخاطب العبد الصالح :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (الكهف : ٦٦)

وجاء هذا الحذف رامزًا إلى معنى لطيف، ذلك المعنى هو : أن موضوع (التعلم) الذي يرجوه موسى من العبد الصالح غيبي يتصل ببواطن الأمور لا ظواهرها، وهي الأسباب الخفية في :

- قتل الغلام - خرق السفينة - إقامة الجدار

فهذه الأسباب من علم الله الغيبي، كشف عنها للعبد الصالح، ولم يكشف عنها لأحد سواه.

وإذا قارنا بين ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ و﴿تُعَلِّمَنِ﴾ وبين قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾

(يوسف: ١٠١)

لرسخ في وجداننا ما قدمناه من تطبيقات صائبة على القواعد، التي نص عليها العلماء في (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف).

فقد ثبت (الياء) في ﴿ءَاتَيْتَنِى﴾ و﴿وَعَلَّمْتَنِى﴾ في ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام لأن المعنى فيهما مادي حسي، أي الوزارة، وفك رموز الرؤى المنامية.

أما معنى:

﴿أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾

فهو أمر غيبي يتعلق برضوان الله، ونعيم الآخرة.

وكذلك قول موسى:

﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾

فهو يتعلق بالأسرار الإلهية وراء الوقائع الظاهرة.

وهذه إضافة قوية - أعني المقارنة بين هذه الكلمات الأربع - لتوكيد أن «خصوصيات الرسم المصحفي» ذوات دلالات رائعة،

سواء قلنا: إن هذه الخصوصيات «اتفاقية» أو «توفيقية» أو «توقيفية» والخلاف بين هذه الآراء لا يعنينا، وإنما الذي نُصر عليه أن هذه (الخصوصيات) وضعت لمعنى، فليست هي عاطلة عن الدلالة فيستوي وجودها وعدمها، ذلك ظن يجب أن يُنزه عنه كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزه عن العيوب وخلا من كل فضول؛ لأنه كلام من أحاط بكل شيء علما.

٨- ومن الكلمات المفردات التي حذف فيها (الياء) قوله تعالى:

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾

(الكهف: ٦٤)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿نَبْغِ﴾ للدلالة على ما في هذا السعي من (غيبيات).

فالعبد الصالح لا عهد لموسى به، ولا معرفة له سابقة بما خصه الله من العلم (اللدني)، وموسى عليه السلام لم يطلب العبد الصالح لذاته وشخصه المجسم الظاهر؛ وإنما طلبه لما عنده من علم (لدني) امتن الله به عليه.

٩- وقوله تعالى:

﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾

(الصافات: ٥٦)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿لَتُرْدِينِ﴾ لأن المراد منه الإرداء الأخروي لا الدنيوي، بدليل قوله تعالى بعده مباشرة:

﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾

(الصافات: ٥٧)

١٠- وقوله تعالى:

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴾

(الدخان: ٢٠)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿تَرۡجُمُونِ﴾؛ لأن المراد من «الرجم» البهتان والتكذيب بالرسالة، فهو أمر معنوي، وليس الرجم بالحجارة، وهو أمر حسي.

وجميع هذه (الياءات) المحذوفة من معمولات الأفعال فهي مفعول بها في كل موضع، وهي كلها ثابتة في النطق مع حذفها في الرسم الخطي.

١١- وقد جاء الحذف والإثبات في آيتين متجاورتين في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾

(يس: ٧٨، ٧٩)

حذف (الياء) من الأول﴿يُحۡيِ﴾ لأنه غير موجود حين تساءل عنه منكر البعث، وثبت في الثاني ﴿يُحۡيِيهَا﴾؛ لأنه جواب صادق بإحياء الموتى، فكأنه لصدق الوعد به وقرب يوم الحشر في علم الله، فكأنه أحياها بالفعل، وهذا من دقائق المعاني في هذا الرسم الحكيم.

١٢- وقوله تعالى:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾

(الفجر: ٤)

حذف (الياء) في هذا الفعل المضارع يَسۡرِ ونابت عنه الكسرة تحت (الراء)، و(الياء) المحذوفة - هنا - لام الفعل، ووزن الفعل بعد الحذف: «يفع» لأنه من سرى يسري.

أما (الياء) المحذوف من الكلمات السابقة فهي - كما تقدم - ضمير متصل مفعول به.

وعلة الحذف في هذا الموضع ﴿يَسۡرِ﴾ هي علة الحذف في كل ما تقدم.

أعني الرمز إلى التفرقة بين المعاني الذهنية المعنوية التي لا صورة لها محسوسة ماديا في الوجود وبين المعاني المادية المدركة بإحدى الحواس الخمس.

والمراد من ﴿يَسۡرِ﴾ في آية (الفجر) ليس الذهاب بالحس المدرك بالبصر، بل: الذهاب المعنوي؛ لأن الناس لا يرون سُرى الليل بأبصارهم، وإنما يدركون ذلك (السُرى) بعقولهم وأذهانهم.

وفي نقص (الياء) هنا لطيفة أخرى، وهي أن سُرى الليل يدل على نقصانه شيئا فشيئا.

والنقص الحسي في صيغة هذا الفعل، والحادث بحذف (الياء) يشع منه معنى بالغ النهاية في الدقة، وهو: نقصان الليل نفسه في الواقع.

وهذا المعنى أشبه ما يكون بالتفسير (الإشاري) عند المتصوفة[10]

١٣- أما قوله - عز وجل -:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾

(الفجر: ١٥، ١٦)

فقد حذف فيه (الياء) في فاصلتي الآيتين هكذا: ﴿أَكْرَمَنِ﴾ - ﴿أَهَٰنَنِ﴾ وهذا الحذف في الموضعين رمز به على خطأ وقع فيه الإنسان القائل هذا الكلام، ذلك الخطأ هو أن من ينعم عليه الله، ويبسط الرزق يعتقد أن هذا الإنعام من الله دليل على حب الله إياه، وسمو منزلته عنده، وأما من يضيق الله عليه في الرزق، فيرى كذلك أن الله لا يحبه، وأن منزلته عنده وضيعة[11].

ووجه الخطأ - هنا - أن كلا منهما جهل سنة لله في خلقه، تلك السنة هي أن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح، وأن الابتلاء (الاختبار) يكون بالنعم كما يكون بالنقم، فليس إغداق النعم من الله على بعض عباده دليلا على فضلهم وصلاحهم عنده.

وليس ابتلاء الله أحدا من خلقه بالشرور دليلا على بغض

---

(١٠) التفسير الإشاري هو فهم معانٍ من القرآن لم يدل عليها اللفظ دلالة مباشرة ولم يدل عليها معنى اللفظ مما يسميه البلاغيون: معنى المعنى، ولا يملك القائل به دليلًا عليه، كما لا يملك من ينكره دليلًا على إنكاره وقد أورد منه الإمام الألوسي صورًا كثيرة في كتابه المعروف بـ: «روح المعاني».

(١١) ينظر كتاب (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل) لأبي عباس أحمد بن البناء المراكشي، نشر: دار الغرب الإسلامي (تونس) - ص٩٦.

الله إياه وانتقامه منه .

وكان حذف (الياء) في الآيتين مدرجا للفت الأنظار وإثارة الذهن للتساؤل عن سبب الحذف في الموضعين ويتجه لفهم هذا المعنى اللطيف .

و(الياء) في الموضعين ضمير المتكلم ومفعول به للفعل قبله ، وبقيت الكسرة دليلا عليه .

ملاحظة ١ :

مقارنة بين موضعين ورد (الياء) في أحدهما محذوفا ، وفي الآخر مثبتا في فعل واحد في الموضعين .

قال تعالى :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٠)

وقال تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى

﴿مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

(المائدة: ٣)

في آية البقرة ثبت (الياء) في الفعل ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ وفي آية المائدة حذفه.

وهنا يرد سؤال لحوح: لماذا أثبت (الياء) في الأولى وحذف في الثانية؟

والجواب:

إن (الياء) في آية البقرة جيء به على الأصل (الإثبات) لا الحذف، أما في آية المائدة فقد كان الحذف رمزًا على معنى يدل عليه.

هذا المعنى هو أن المنهي عن خشيته طائفة خاصة، هم الذين ظلموا المؤمنين من الناس لا كل الناس؛ لأن الضمير في ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ عائد على أقرب مذكور له، وهو هنا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

ومراعاة لهذا المعنى ذهب بعض العلماء إلى أن ثبوت (الياء) في آية البقرة ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ رمز إلى معنى مقابل للمعنى الذي حذف (الياء) من أجل الدلالة عليه في آية المائدة، والمقام ينصر هذا لأن ما في آية البقرة هو: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أما في سورة المائدة فهو: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهم أعم من ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

وعلى هذا:

فإن حذف (الياء) في آية المائدة رمز به إلى (العموم) وإثبات (الياء) في آية البقرة رمز به إلى (الخصوص).

وقد عبر عن هذا الفرق الإمام الزركشي بأن الخشية الكلية رُمز

لها بحذف الياء، والخشية الجزئية رمز لها بإثبات (الياء).

١٤- وكذلك حذف (الياء) من الفعل المضارع - لغير علة نحوية ولا صرفية - في قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾

(النساء: ١٤٦)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿يُؤۡتِ﴾ دون أن يقتضي هذا الحذف عامل نحوي أو بناء صرفي، ومعنى هذا أن الحذف هنا له دلالة لطيفة من أجلها كان الحذف، هذه الدلالة هي:

أن الإتيان الذي وعد الله به عباده المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف العظيمة عبارة عن:

- التوبة النصوح.
- الإصلاح في القول والعمل.
- الاعتصام بالله - عز وجل -.
- إخلاص الدين لله، والإعراض عمن سواه.

هذا الإتيان الذي وعدهم به، هو إتيان غيبي أخروي لا يدرك كنهه أحد.

فحذف (الياء) للدلالة على هذه اللمحة اللطيفة، ومثل هذه الآية من بعض الوجوه قوله - عز وجل -:

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾

(هود: ١٠٥)

و(الياء) حذف - كما ترى - لغير علة نحوية أو صرفية، وحاشا

أن يكون هذا الحذف خاليًا من الدلالة وإلا ما حذف.

إن معناه اللطيف الذي دل عليه هو غيبية مجيء يوم القيامة، ثم قرب مجيئه، وهذا المعنى درج عليه القرآن كثيرًا، وإن لم يحدد مدة القرب.

والحذف من بنية الكلمة، وخاصة إذا حدث هذا في أطراف الكلمات يترتب عليه قصر المسافة المكانية، وفي هذا إيحاء بقصر المسافة الزمانية بين الخلق وبين حدوث يوم القيامة، فبين المسافتين إيحاء لطيف.

ملاحظة ٢ :

أفعال تثير تساؤلات في سورة الأنعام.

في سورة الأنعام آية وردت فيها أفعال، قد تثير تساؤلات على القاعدة التي تقدمت في حذف (الياء) من الفعل ﴿يَأْتِ﴾ في الآيتين المذكورتين آنفًا.

ولنذكر الآية أولًا:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

(الأنعام: ١٥٨)

ورد الفعل ﴿يَأْتِيَ﴾ في الآية أربع مرات، و(الياء) مذكور لم يحذف.

وموضع الأفعال الأربعة، أمر غيبي، وهو على التفصيل:

- إتيان الملائكة.
- إتيان الله ﴿رَبُّكَ﴾.
- إتيان بعض آيات ربك (مرتان).

فلماذا إذن ثبت (الياء) ولم يُحذف؛ على غرار حذفه في:

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؟

الجواب: الأفعال الثلاثة الأولى:

- ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾
- ﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾
- ﴿يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾

هذه الأفعال الثلاثة ثبت فيها (الياء) لأن:

الفعل الأول تقدم عليه (ناصب) للمضارع، هو «أن» فثبت (الياء) لتظهر عليه (فتحة الإعراب).

أما الفعلان التاليان له وهما:

﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾

﴿يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾

فهما معطوفان عليه ولابد من ظهور (فتحة الإعراب) على الحرف الأخير فيهما فثبت (الياء) من أجل هذا.

أما الفعل الرابع:

﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾

فهو غير معطـوف، والظاهر يقتضي حذف الياء منه، وعليه يرد التساؤل المذكور [١٢].

والجواب: هذا الفعل وإن كان متعلقه أمرًا غيبيًا مثل:

﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ﴾ و﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ لـن يكون في الحيـاة الدنيا بل هما أمران من شئون الحياة الآخرة.

هذا واضح في ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ﴾ أما في ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ فهذا حديث عـن يوم البعـث من القبور، فهـو إذن يوم من أيام الآخـرة لا من أيام الدنيا.

أمـا ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فهـذا مـن أيام الدنيـا قبل نفخة الصعق؛ إذن هو يوم سيشهده الناس في يوم من أيام الدنيا، فالغيبية فيه غير كاملة.

هذا الفرق الكبير بينهما هو الذي اقتضى إثبات الياء في:

﴿يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾

لأنه كما تقدم يوم من أيام الدنيا بدليل ما بعده في الآية نفسها:

﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا﴾

ويرى بعض المفسرين أن ﴿بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ هو طلوع الشمس من المغرب [١٣]. وهو قطعًا من أيام الدنيا في أواخر عمرها.

---

(١٢) لم يلتفـت أحد من علماء علوم القرآن لهـذه الآية، لذلك استأنفنا البحث عن سر إثبات «الياء» فيها مع أنها تشير إلى أمر غيبي لم يحدث حتى الآن.

(١٣) انظر فتح القدير للإمام الشوكاني (١/٢١٢).

هـذه المقارنـات الدقيقة تظهر لنا بكل وضـوح: الفاعلية وبالغ الحكمة في الخصوصيات التي انفرد بها الرسم العثماني للمصحف الشريف.

وأن كل مـا فيـه، مما فارق به الخط الإملائي العام يرمز إلى معان جد لطيفة، منها ما هو مدرك ملحوظ بين، ومنها ما يحتاج إلى تأمل طويـل يضاف إلي تلك الجهود التى بذلهـا علماؤنا الأقدمون قريبو العهـد بالكتبة الأولـى للمصحف في خلافـة ذي النورين عثمان بن عفـان رضي الله عنه، وهي لم تسـتجد في عصره، إنمـا كان المصحف مدونًا بها في عصر الرسالة.

١٥- ومن المواضع التي حذف فيها الياء في درج الكلام قوله - عز اسمه -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

حـذف الياء في هذه الآية فـي موضعين الأول من ﴿ٱلدَّاعِ﴾ وهو اسـم فاعل، والثاني من ﴿دَعَانِ﴾ وهـو فعل ماض كما ترى، ونحن وإن كنـا بصدد الحذف من الأفعال هنا فإن المقام يقتضي بيان سـر الحذف في الموضعين معًا لأن مقتضى الحذف فيهما واحد.

فالآية تقرر قرب الله من أحوال عباده، وقيل في سـبب نزول هذه الآية أن رجلاً أو جماعة سـألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟

فأمسك عن الجواب ؛ فنزل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ﴾[14]

ولما كانت الإجابة بالقرب لا بالبعد كان حذف (الياء) في الموضعين لتأكيد ذلك القرب من وجه لطيف بعد توكيده بـ «إن» واسمية الجملة.

وحذف الياء في الموضعين قَصَّر المسافة المكانية التي رسمت فيها الآية، وتقصير المسافة هو القرب الذي قررته الآية.

فهذا الحذف من ألطف الكنايات على معنى القرب الذي وصف الله به نفسه وهو قرب علم وإحاطة وإنعام وتدبير، لا قرب مكان ومجاورة، قرب (معية) معنوية لا قرب تضام ومجالسة.

وقد تولد عن تلك الكناية اللطيفة (= دلالة الحذف على القرب) لطائف أخرى يبثها البيان القرآني أرق من نسيم الحدائق في الأسحار:

لطيفة سرعة سماع الدعاء لقرب المدعو.

ولطيفة سرعة الإجابة إذا كان الداعي من أهل القبول عند الله - عز وجل - ولم يطعم أو يلبس حرامًا، ولا دعا بسوء ظلمًا ولا بشحناء أو قطيعة رحم.

- قال الإمام الزمخشري في شرح الآية :

«تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت إجابته نحوه، كما قال سبحانه :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق : ١٦)

---

(١٤) الكشاف - (١/٣٧٧).

ثم ذكر سبب نزول الآية كما تقدم آنفًا » .

ب- حذف (الياء) في فواصل الآي:

وهذا الحذف كثير جدًا في الأفعال وفي الأسماء أو الصفات المشتقة .

أولاً: في الأفعال:

وعلى منهجنا الذي تقدم ، نمضي بادئين بعرض مستقل لحذف (الياء) في الأفعال الواقعة فواصل للآيات ، ونتبين بعض الأسرار واللطائف في بعض النماذج ؛ لأن استقصاء الحديث عنها غير مستطاع ، ولأن بيان اللطائف والأسرار في بعض النماذج يغني عن تتبعها كلها .

ولنبدأ بنماذج من سورة البقرة ، أول سورة في المصحف بعد فاتحة الكتاب ، قال تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾

(البقرة: ٤٠ ، ٤١)

وقع (الياء) في فاصلتي هاتين الآيتين وهما - أعني الفاصلتين - فعل أمر :

الأول : ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ .

والثاني : ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

و(الياء) المحذوف فيهما ضمير المتكلم - عز وجل - ، وموقعه الإعرابي مفعول به والحذف في الفواصل كثير ، ولم يقتصر على حذف المفعول به إذا كان «ياء» بل كثيرًا ما يحذف المفعول

به وهو ليس ضميرًا، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾

(البقرة: ١٧)

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٢٢)

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

(البقرة: ٣٣)

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(البقرة: ٥٢)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ٦٣)

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

(البقرة: ١٣٤)

هذه ست فواصل من أوائل سورة البقرة، كل فاصلة منها فعل متغير له مفعول به واحد، أو مفعولان، ولم يذكر النص القرآني أي مفعول منها، بل حذفه ونزّل الفعل المعدى إلى مفعول أو مفعولين

منزلة الفعل اللازم الذي لا يحتاج إلى مفعول.

وذلك لأن الفواصل القرآنية لها وضع خاص في النظم القرآني؛ لأن رءوس الآيات هي معاقد المعاني فيها، فخصت بمنهج يساعد على أداء وظائفها في اللفظ والمعنى، وقد أحصى بعض العلماء سمات منهج القرآن في بناء فواصل الآيات فوجدها ثلاثا وأربعين سمة.

أبرز وظائف هذه الفواصل في القرآن كله:

تيسير القرآن للذكر والحفظ، وإحداث إيقاع صوتي (ترنيم) عند تلاوته يجذب الأسماع جذبًا قويًا، ويأسر القلوب أسرًا بالغًا، ويضفي على ترتيل الذكر وقعًا في السمع لا تجد له مثيلا في أي نظم أو كلام آخر.

وكان هذا الحذف الذي نحن بصدد الحديث عنه معوانا على ذلك كله.

هذا ما يعود على الألفاظ أو الإيقاع الصوتي الجذاب، أما ما يعود على المعاني فهو أمران تحتهما فروع دقيقة:

فجمال الإيقاع الصوتي هو مصيدة الأسماع والقلوب في الإقبال على القرآن، وهذا مدرج يلقي في النهاية في أسر القرآن، فتقبل القلوب على حبه، والسياحة في حدائق معانيه.

وتقبل العقول على تدبر تلك المعاني، وهذا مدرج آخر لحدوث الهداية، التي من أجلها نزل القرآن، أو تقوم الحجة لله على من أعرض وتولى، وهذا هو الأمر الذي بعث الله من أجله رسله جميعًا.

ويضاف إلى جانب خدمة المعاني من سمة الحذف غرض آخر،

هو الإيجاز في اللفظ والإكثار في المعنى، وهذا الإيجاز من أبلغ صفات الكلام البليغ.

ونعود إلى آيتي البقرة، لنرى دور الحذف فيهما في تحقيق الأغراض البلاغية والتربوية التي أشرنا إليها، هاتان الآيتان حذف فيهما (الياء) كما تقدم:

﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾ والأصل: «فارهبوني» و﴿فَٱتَّقُونِ﴾ والأصل: فاتقوني فمن حيث خدمة الألفاظ والبناء الصوتي الآسر، مكننا الحذف من الوقوف على آخر الفاصلتين بالسكون.

وهذا السكون حقق الانسجام الصوتي بين ما تقدم على هاتين الآيتين، وما تأخر عنهما من آيات وبينهما، وهذا يقتضي أن نذكر مجموعة هذه الآيات متصلة وهي:

قال تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾

(البقرة: ٣٨ - ٤٣)

ندعو القارئ الكريم أن يتلو هذه الآيات بصوت مسموع تلاوة مجودة، وأن يتأمل ويتعرف على دور الوقف على السكون في فواصل الآيات الست، وأثر هذه التلاوة في القلوب والمشاعر والأسماع.

مما يترتب على هذه التلاوة الشجية، الحلوة الرنين، الطيبة المذاق.

ثم ليعد ليتبين بعناية خاصة: أثر حذف (الياء) في تمكين القارئ من استمرار التلاوة على نسق ترنيمي واحد أسهم في تحقيق الهدف.

وحرفا المد (الواو والياء) قبل الحرف الأخير في الفاصل، في الفواصل الست، أما حرف الفاصلة فهو (النون) في الفواصل الست، مسبوقا بحرف المد (الواو) في خمس فواصل وبحرف (الياء) في فاصلة واحدة، هي الأخيرة: ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

وقد عد بعض الدارسين المعاصرين هذا الإيقاع الصوتي الفريد، لنظم القرآن سمة: قوة الظهور.

أما من حيث خدمة المعاني، فإن هذا النسق العجيب، هو الطعم الذي يصطاد به القرآن القلوب من بعيد، أو رائحة (الشواء) الشهي الذي يُسيل لعاب السامعين، فيجدون في أنفسهم جذبا قويا نحوه، فإذا وقعوا في أسره، فإن معانيه تشرق عليهم من كل جهة، ويكون المصير:

إما الهداية الجالبة لسعادتي الدنيا والآخرة، وإما إقامة الحجة لله على المعرضين ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ويمكــن أن تســتعير مصطلحــا بلاغيــا يســتثمره البيانيون في توجيه أســاليب الحذف ونطبقه بجدارة - علــى هذه الحذوفات في خصوصيات الرســم العثماني للمصحف الشريف، ذلك المصطلح هو ما يعرف عندهم بـ (توفير العناية بالمعنى).

فقوله - عز وجل -:

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾

وقوله:

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾

حذف (الياء) منهما لتوفير العناية بالمعنى في الآية الأولى وهو (الرهبة)، وفي الثانية وهو (التقوى) أي إن القرآن ركز على تحقيق هذين المعنيين، فجردهما من الزوائد لئلا تشــغل الذهن، ولو برهة من الزمن.

والحذف - بوجه عام - لا يُصار إليه إلا بعد توفر أمرين:

الأول: أن يكون الحذف - من حيث المعنى - أولى من الذكر.

الثاني: أن يكون في الكلام دليل يدل على المحذوف.

وقد تحقق هذان الشــرطان فــي كل المحذوفات القرآنية، ومنها حذف (الياء) في الآيتين اللتين هما موضوع الحديث هنا.

فأمــا من حيــث اللفظ والمعنى، فقد ظهر لنــا ما في هذا الحذف مــن خدمة الألفاظ والمعاني، ولا حاجة لإعادة ذكره، وأما من حيث الدليل الذي يدل على المحذوف، فإن (الياء) لما حذف في الآيتين وفي غيرهما من كل ما تقدم بقي في الكلام ما يدل عليه من جهتين:

الأولــى: مــن جهــة المعنــى؛ فإن مــن يســمع ﴿فَٱرْهَبُونِ ﴾ أو

﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ يـدرك لتوّه أن ضميـر المتكلم في مثل هذه السـياقات هو (الياء).

الثانيـة: من جهة اللفظ؛ فإن الكسـرة التـي ألحقت بالياء، تدل دلالة قوية عليه وهو محذوف.

ومن لطائف ما يضاف هنا: أن الرسم العثماني جمع بين الحذف والذكر في موضع واحد لأن (الياء) في النماذج التي معنا: محذوفة جسما مذكورة عقلا.

هـذا وكنا نود أن نسـوق نماذج أخـرى غير هذيـن النموذجين ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ - ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ ولكننـا آثرنـا الاكتفاء بما تقدم توخيا لعدم الإطالة.

ولنـا إضافتان مهمتان نذكرهمـا، قبل توديع الحديث عن حذف (الياء) في الأفعال الواقعة في فواصل الآيات هما:

● أنهـا على كثرتها تخضع جميعها للطائف والأسـرار، وخدمة عنها كما تقدم، وأن الحذف في فواصل الآيات - أيا كان المحذوف - لا يصار إليه من أجل حلية لا صلة لها بخدمة المعاني - هذا محال - وإن لـم ير بعض الباحثيـن فيه حرجا، وما من موضع من الفواصل القرآنية إلا وقد جمع بين خدمة اللفظ والمعنى معا، وإن خفي ذلك على قليل من الدارسين.

● وأن المحذوفـات في الفواصل يكون لها سـر آخـر غير الذي أشرنا إليه قريبا وقد تقدم لنا نماذج منها مثل:

﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾

(الصافات: ٥٦)

فـإن للحذف هنا معنى آخر ؛ هو الإشـارة إلى أن الإرداء الأخروي غير الدنيوي.

ومثل :

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾

(الدخان : ٢٠)

فإن للحذف هنا معنى آخر ، هو الإشارة إلى أن المراد من الرجم ، هو التكذيب وليس الرمي بالحجارة.

ثانيًا: حذف (الياء) في الأسماء:

نبدأ بما ورد في سورة البقرة ، الآية (١٨٦) وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

﴿ٱلدَّاعِ﴾ اسـم فاعل من دعا يدعو ، و(اليـاء) المحذوف فيها أصله (الواو).

وجـاء حذفه رمـزا على معنى لطيف ، هو رفعة شـأن هذا الدعاء ؛ لأنه دعاء ورد في مقام الاسـتجابة من الله – عز وجل – ، ورفعة شـأن هذا الدعاء لها اعتباران :

– أنه دعاء قد قبله الله واستجاب لداعيه فحقق له ما دعا به.

– أنه دعاء أخلص فيه الداعي العمل لله في السـر والعلن ؛ لأن الله لا يقبـل الدعاء إلا من المخلصين ، الذين أطابوا مأكلهم ومشـربهم وملبسهم ، ولم يشغلهم أو يصرفهم عن الله شاغل أو صارف.

وقد دل على هذا قوله تعالى في الآية نفسها :

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

فهذا الداع الذي أجاب الله دعوته تحقق فيه أمران:

- الاستجابة لله – عز وجل –.
- الإيمان الخالص.

وشبيه بهذا قوله تعالى في سورة القمر، الآية (٦) وهي:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾

فقد حذف (الياء) من ﴿ٱلدَّاعِ﴾ وهذا هو وجه الشبه بين آيتي البقرة والقمر ثم اختلفتا في المقتضي الذي كان سببا في الحذف في كل منهما.

وقد عرفنا لماذا حذف (الياء) في آية البقرة.

أما السر الذي حذف من أجله (الياء) في آية القمر فهو أن هذا ﴿ٱلدَّاعِ﴾أمر غيبي سيكون يوم القيامة، وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذا أنه:

شأن ملكوتي، أي غير واقع الآن.

و(الياء) المحذوفة في الموضعين هو أصل من أصول الكلمة، وهي:

الدال، والعين، والواو، وقد انقلب (ياء) هنا كما تقدم.

ومثلهما قوله تعالى:

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾

(القمر: ٨)

وقد يرد الذكر والحذف في آية واحدة في كلمتين متجاورتين فيها: من ذلك قوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾
(القمر : الآيات ١٦ - ١٨ - ٢١ - ٣٠ - ٣٧ - ٣٩)
والشاهد في الآيات الست هو :
﴿عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾
الآية (١٦) وردت تعقيبا على إهلاك الله الكفرة من قوم نوح .
والآيـة (١٨) جاءت تمهيدا لما أهلك به « عاد » لذلك قدم عليه هكذا :
﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾
(القمر : ١٨ ، ١٩)
والآيـة (٢١) وردت تعقيبا على ما حل بـ« عاد » وكذلك تهويلا لما حل بهم .
أما الآية (٣٠) فقد عقبت على ما حل بـ« ثمود » قوم صالح عليه السلام .
والآيـة (٣٧) والآية (٣٩) كلتاهمـا كانتا خطابا لقوم لوط لما عاثوا في الأرض فسادا ، وقلب الله بهم الأرض بطنا على ظهر .
هذا هو النسق النظمي الذي ورد في إطاره :
﴿عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾
والملاحـظ أن (الياء) وهـو هنا مضاف إليه ثبت في ﴿عَذَابِيَ ﴾ في الآيات الست .
وحذف في ﴿نُذُرِ ﴾ في الآيات الســت كذلـك ، ومن هنا يبرز سؤال مهم :
لماذا ثبت (الياء) في ﴿عَذَابِيَ ﴾ وحذف من ﴿نُذُرِ ﴾ ؟

والجواب:

إن العذاب المضاف إلى ضمير اسم الجلالة، ومعناه هنا: التعذيب، هذا العذاب مضى وانتهى بكل صوره وأشكاله المادية المحسوسة.

فطوفان نوح وريح عاد وصيحة ثمود، وحاصب قوم لوط كل هذه صور وأشكال يحكمها وصفان:

الأول: أنها صور وأشكال مادية محسوسة.

الثاني: أنها بعد وقوعها في مواقيتها ذهبت لا وجود لها الآن.

فهي - إذن - أمور مدركة بالحواس.

أما ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ فهي المعاني الذهنية المعقولة، ولا تزال تؤدي دورها من الإنذار والتخويف، لكل من نحا منحى تلك الأقوام والجماعات.

ويحكمها كذلك وصفان:

أولهما: كونها معاني ماثلة في الأذهان.

ثانيهما: كونها عظات وعبر باقية، تتدبرها جميع الأجيال.

إذا تقرر ذلك:

ظهرت لنا اللطائف والأسرار التي رمز لها بإثبات (الياء) في ﴿عَذَابِى﴾ وحذفها من ﴿نُذُرِ﴾ للدلالة في الأول ﴿عَذَابِى﴾ على المادية والانتهاء، وللدلالة في الثاني ﴿نُذُرِ﴾ على (المعنوية) ثم على الاستمرار والدوام.

أي إن:

إثبات (الياء) فيما ثبتت فيه، وأنه هو الأصل، وأن حذف (الياء)

فيمـا حُذفت فيه : رمزان للدلالة علـى معنيين في غاية اللطافة ، ولم يحدثـا عبثـا ، وإنمـا وراءهما مـا اقتضاهما مـن مجـال الإِيقاع في ﴿نُذُرِ﴾ واللطائف والأسرار في كل منهما ، والمعروف أن الأصل هو السـكون في آخـر أحرف كلمـات الفواصل ، وسـورة (القمر) بنيـت فواصلها على حرف (الراء) فناسـب ذلك حذف (الياء) في ﴿نُذُرِ﴾ لأنــه لو ثبت لمـا أمكن الوقوف عليه بسـكون (الراء) ولحـدث (نشـاز) فـي الإِيقـاع الصوتي الممتـع ؛ لأن مـا قبل هذه الفواصـل ﴿وَنَذَرَ﴾ فواصـل يوقـف على الـراء فيها بالسـكون ، وكذلك ما بعدها .

وممـا اجتمع فيه الإِثبـات والحذف في آية واحـدة ، في كلمتين متجاورتين ، معطوفة ثانيتهما على الأولى ، قوله تعالى :

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾

(إبراهيم : ١٤)

أثبـت (الياء) في ﴿مَقَامِى﴾ وحذف مـن ﴿وَعِيدِ﴾ لأن الأصل فـي (المقام) هنـا ، هو قيام العبـد ومثوله بين يدي ربه ، وشـأنه أن يكون (مُبصرًا) لذلك أثبت فيه (الياء) المضاف إليه (مقام) جريًا على الأصـل ، أما الوعيد فمعناه حضور الخبـر التهديدي في الذهن فهـو أمر معنوي معقول ، مسـتمر لا انقطاع له في الوجود ، والوعيد والإِنـذار بمعنى واحد ، وإن حدث اختلاف في التسـمية والحذف – هنا – جرى على خلاف الأصل ، للدلالة على المعنى المشار إليه ، ثم إن هذا الحذف كان فيه رعاية لجمال النسق الصوتي .

لأن الفواصل التي وردت بعده كانت دالية مسبوقة بحرف المد (الياء) هكذا:

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾

(إبراهيم: ١٥، ١٦)

● وبهذا كان في هذا الحذف لطيفتان:

١- معنوية، كما تقدم.

٢- ولفظية، وهي مراعاة مجيء فاصلتين بعدها حرف فيهما الدال التالي لحرف المد (الياء).

ومثله قوله تعالى:

﴿ وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾

(ق: ١٣، ١٤)

حذف (الياء) من ﴿وَعِيدِ﴾ وهي فاعل ﴿حَقَّ﴾ والأصل «وعيدي» فحذف منها (الياء) ونابت الكسرة منابه، وصارت دليلا عليه.

وعلة الحذف فيه هي التي تقدمت في نظيره، وهي الدلالة على مثوله وحضوره في الذهن؛ لأنه معنى واسم لما يعاقب به الله المجرمين-هذا من حيث المعنى- أما من حيث اللفظ، فقد جاءت بعد هذه الفاصلة عشر فواصل كلها دالية مسبوقة بحرف المد (الياء) هكذا: «جديد - الوريد - قعيد - عنيد - تحيد - الوعيد - شهيد - حديد - عتيد - عنيد».

وهي فواصل الآيات من (١٥) إلى (٢٤).

وحـذف (اليـاء) كذلك من كلمـة ﴿نَكِيرِ﴾ مضافًا إلى ضمير اسم الجلالة في أربعة مواضع، هي:

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(الحج: ٤٤)

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(سبأ: ٤٥)

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(فاطر: ٢٦)

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(الملك: ١٨)

(النكير) في هذه الآيات الأربع اسـم لعقاب سابق أنزله الله على مكذبي الرسـل وصوره وأشكاله كانت مختلفة ولكن معناها وأثرها الذهني ظل موجودًا بعد وقوعها وذهابها من الوجود.

والله هنا يذكر بها، ويهول ويفظع من شـأنها، فصاغ الإشارة إلى ذلك في أسلوب الاستفهام المثير:

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

وهو استفهام المراد منه التهويل والتعظيم والتفظيع[١٥].

وسمي العقاب نكيرًا للدلالة على أنه مسبب عن أفعال ومواقف منكرة.

---

(١٥) كل ما في القرآن من صور الاستفهام الواردة في كلام الله الخالص غير المحكي هو استفهـام مجازي لا يراد به علم شيء كان مجهولًا، وإنما يراد به معان أخرى كالإنكار والتقرير والتهويل... إلخ.

وفي هذه التسمية إلماح إلى ضلالهم ونكارة سلوكهم هذا في جانب خدمة المعنى. أما من حيث خدمة اللفظ، فإن الذي أداه حذف (الياء) هو تحقيق التوافق الصوتي في الفواصل، حيث أمكن مع حذف (الياء) الوقف على ﴿نَكِيرِ﴾ بالسكون.

حيث كانت الفواصل قبلها هكذا: ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ - ﴿ثَمُودَ﴾ - ﴿لُوطٍ﴾.

وكانت الفواصل بعدها هكذا: «مشيد - الصدور - تعدون».

وكذلك حذف (الياء) من ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ في الآيتين الآتيتين:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ (غافر: ١٥)

وقوله تعالى:

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾

(غافر: ٣٢)

(الياء) المحذوفة في هذين الموضعين ليست ضمير المتكلم كما كان في الأمثلة السابقة، بل هو من أصول الكلمة التي حذفت منها.

والذي اقتضى حذف (الياء) في الموضعين الرمز إلى أن كلا من ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ أمر غيبي حتى الآن، ولن يكونا إلا يوم القيامة، وكل منهما كناية عنه.

هذا من حيث المعنى؛ وأما من حيث اللفظ فلأن ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ لما

حذف منه (الياء) سوغ هذا الحذف الوقوف عليه بالسكون كما هو الشأن في الفواصل التي تقدمت عليه، وهي «ينيب - الكافرون».

وكذلك التي أتت بعده، وهي: «القهار - الحساب - يُطاع».

أما «التناد» فقد أوفى بهذه المهمة كذلك، فكانت الفواصل قبله هكذا: «الأحزاب - العباد».

والفواصل التي بعدها هكذا: «هاد - مرتاب - جبار».

ومن نافلة القول أن نذكر - مرة بعد مرة - أن شدة التناسق في الإيقاع الصوتي[١٦] هو في نفسه خدمة جليلة للمعاني؛ لأن هذه الخصائص الصوتية تجذب الأسماع نحو القرآن، وهذا يترتب عليه إقبال القلوب، ثم العقول للتدبر، وفي هذا كله تيسير سبل الهداية، ثم إقامة الحجة على الجاحدين.

وجاء حذف (الياء) من اسم الفاعل الرباعي في قوله تعالى:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧)

وهذا رمز إلى سرعة هداية من يهديه الله - عز وجل - هذه واحدة.

والثانية: رمز إلى كمال هداية من هداه الله لأنها هدايتان:

هداية ظاهرة في سلوكه وخلقه وعمله، مما يراه الناس، وهداية باطنة كانت هي المصدر للهداية الظاهرة على حد قول الشاعر الحكيم:

---

(١٦) بعض الدارسين يطلقون على هذا: موسيقى القرآن، ولم نجارهم في هذا لعدم لياقته بكتاب الله.

وإذا حلت الهداية قلبا
نشطت في العبادة الأعضاء

ويدلك في الآية نفسها على هذا المعنى المرموز له بحذف (الياء) الطرف المقابل وهو:

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾

فهو مهما بُذلت الجهود في تحويله من الضلال إلى الهدى لن تثمر فيه لأنه انغمس في الضلالة وحُرم - عقابًا له - من رعاية الله عز وجل له.

وقد مر بنا أمثلة للحذف في الواو، أجمع علماؤنا على أن الحذف فيها دليل على سرعة حدوث الفعل، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾

(الإسراء: ١١)

وفي سورتي (النمل) و(الروم) آيتان تكاد صياغتهما أن تكون واحدة ومع هذا التشابه الكبير وردت فيهما كلمة واحدة مرتين، تلك الكلمة هي اسم الفاعل (هادي) في إحدى السورتين وردت محذوفًا منها (الياء) وفي الأخرى أثبت فيها (الياء) ولم يحذفها، والآيتان هما:

الأولى:

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾

(النمل: ٨١)

والثانية :

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

(الروم : ٥٣)

إن النظر في الآيتين يثير في النفس سؤالا مهمًا جديرًا فعلا بأن يُثار.

لماذا أثبت (الياء) في (هادي) في آية (النمل) ؟

ثم لماذا حذفه منها في آية (الروم) ؟

والآيتان عبارة عن آية واحدة كُررت مرتين ؟

● وخلاصة ما يُقال فيهما :

إن ما أثبت فيه (الياء) كان المراد منه الهداية الحسية الظاهرة، وهي محالة في عمى الأبصار، أما ما حذف منه (الياء) فالمراد به الهداية القلبية الكلية، وهذا لا يختص به إلا الله - عز وجل - .

وهاتان الآيتان لهما في النظم القرآني المعجز شأن هو العجب حقًا :

فقد سُبقت كل منهما بآية تكررت بلفظها ومعناها مع اختلاف في حرف واحد مرتين، مرة قبل آية (النمل) ومرة قبل آية (الروم) .

أما التي قبل آية (النمل) فهي :

﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾

(النمل : ٨٠)

وأما التي في آية (الروم) فهي :

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾

(الروم : ٥٢)

قارن بينهما فإنك تراهما آية واحدة فعلا تكررت مرتين مع فرق طفيـف ، هو أن آية (النمل) خلا مطلعهـا من أية أداة عاطفة ، أما آية (الروم) فقد تصدرها حرف العطف الفاء : ﴿فَإِنَّكَ﴾ .

وكذلك الآيتـان التاليتان لهما ، لا فرق بينهما إلا إثبات (الياء) في ﴿هَادِىَ﴾ في آية (النمل) وحذفها في آية (الروم) .

وإذا توسـعت قليـلا في النظر ، بـان لك أن هذه الآيـات الأربع ، أو الآيتيـن المكررتيـن مرتين ، جاءت أو جاءتـا تعقيبًا على مواقف الكافريـن ، وإصرارهم على الجحود مع كثرة العبر والآيات الكونية التي لفت الله أذهانهم إليها في السورتين الكريمتين .

وفـي هذا تسـلية له ﷺ لئلا يأسـى عليهـم ، ومجموع هـذه الآيات فيه تشـبيهات ثلاثة للذين كفـروا : فهم موتى ، وهم صم مدبـرون ، وهم عمي لا يبصـرون ، فلا موت ولا صمم ولا عمى علـى الحقيقة ، وإنما نزلوا منزلة الموتـى في عدم الانتفـاع بالهدى ، ومنزلة الصم في الإعـراض عن الإذعان لدعوة الحق ومنزلة العمي في عدم سيرهم وراء الدعاة إلى ما أنزل الله[١٧] .

ج – الحذف في أسماء تكررت :

١- حذف الياء من كلمة «عباد»

وردت كلمة «عباد» مضافة إلى ضمير اسم الجلالة (الياء) .

في بعضها نرى (الياء) مثبتة «عبادي» وفي بعضها نرى (الياء) محذوفًا ، ولابد لهذا مـن دواع اقتضته في حالتي الإثبات والحذف ، وهذا يتضح بعد ذكر الأمثلة إثباتًا وحذفًا .

---

(١٧) انظر في تفسير هذه الآيات: الكشاف للإمام الزمخشري، وتفسير أبي السعود، وروح المعاني للإمام الألوسي، تفسير سورتي: النمل والروم.

أولاً: أمثلة الإثبات:

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾

(العنكبوت : ٥٦)

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(الزمر : ٥٣)

ثانيًا: أمثلة الحذف:

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾

(الزمر : ١٠)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾ **(الزمر : ١٧)**

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾

(الزخرف : ٦٨)

التوجيه:

الأمثلة التي حذف فيها (الياء) قالوا فيها : إن الحذف رمز إلى معنى لطيف، أو معان لطيفة لا معنى واحد أبرزها ما يأتي :

- **إنه خطاب غير مباشر لعباد الله؛ لأنه خطاب من الله لرسوله الكريم ﷺ مأمور فيه بأن يبلغه لعباد الله.**
- **إنه خطاب غيبي بالنسبة للعباد، ظاهر بالنسبة لرسول الله ﷺ .**

● إن حـذف (الياء) فيه دلالة على قرب هـؤلاء العباد بأعمالهم من الله – عز وجل – والمقام يقوي هذا المعنى، فمثلا:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر: ١٠)

نجـد المنـادى ﴿عِبَادُ﴾ موصوفيـن بوصـف الإيمـان وزيادة الترغيب في تقوى الله.

وقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ وإن لم يكن منادى فقد أمر الله رسوله أن يبشرهم وهذا تكريم عظيم.

وكذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾

(الزخرف: ٦٨)

المقام في هذه الآيات يقوي معنى أن الحذف فيه دلالة على قرب هؤلاء «العباد» من الله – عز وجل – .

وهذه المعاني لا تزاحم بينها، بل يجوز أن تكون هي كلها مرموزًا إليها بحذف (الياء).

وبعـض العلماء [١٨] يقول: إن سـبب الحذف فيهـا أنها خطاب للرسول ﷺ.

ولكن هذا الرأي مدفوع؛ لأن قوله تعالى:

---

(١٨) انظر البرهان في علوم القرآن (١/٤٠٠).

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾
(الزمر : ٥٣)

الخطاب فيه للرسول ﷺ، وليس خطابا مباشرا للعباد، بدليل قوله في أول الآية ﴿قُلْ﴾ فإن (الياء) حُذفت من كلمة ﴿عِبَادٌ﴾ فلو كانت العلة هي مخاطبة الرسول ﷺ لوجب حذف (الياء)، ومن قال بهذا الرأي قال: ما كان خطابا للعباد بتوسيط الرسول ﷺ، بقول الله له:

﴿قُلْ﴾ يطرد فيه حذف (الياء) وما كان خطابا للعباد بدون توسيط الرسول بـ«قل» ثبت فيه (الياء) وهذا – كما تقدم – غير مسلَّم على إطلاقه، فقد تقدم دفعه بآية (الزمر)

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾

لذلك وجب البحث عن علة أخرى لإثبات (الياء) وهي – فيما نرى:

– أن إثبات (الياء) له توجيهان:

الأول: أن الإثبات هو الأصل، وما جاء على الأصل فلا يُسأل عنه.

الثاني: أن سبب إثبات (الياء) رمز إلى بُعد المنادى «عبادي» عن الله – عز وجل – لقصور في علاقاتهم به، والسبب ظاهر جدا في المثالين اللذين ورد فيهما إثبات (الياء) وهما:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾

فهم عباد مسرفون على أنفسهم بالمعاصي، وهذا من شأنه أن يبعدهم عن ألطاف الله ورحمته.

ثم :

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾

(العنكبوت: ٥٦)

فتذكيرهم بسعة أرض الله – عز وجل – ، وأمرهم بتخصيصه بالعبادة فيه إلماح إلى نوع تقصير منهم أمام الله – عز وجل – .

ومما يدفع الرأي الذي أشرنا إليه من قبل أن كلمة «عباد» جاءت محذوفة (الياء) دون أن يكون في المقام توسيط للرسول ﷺ في خطابهم بـ «قل» وذلك قوله تعالى :

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾

فقد حذف (الياء) في الخطاب المباشر الذي خلا من توسيط النبي ﷺ وحذفه هنا رمز إلى قربهم من تكريم الله لهم ، وصفوة القول في هذا ما يأتي :

إن حذف (الياء) من كلمة «عباد» المضاف إلى ضمير اسم الجلالة لا يخضع لقاعدة واحدة ، وهي كونها خطابا غير مباشر لهم .

بل منها ما يسلم توجيهه على هذه القاعدة ، ومنها ما لا يسلم .

كما أن مجيء (الياء) مثبتا ، وإن كان هو (الأصل) ليس لأنه خطاب مباشر لهم ، بل له فوق كونه أصلًا اعتبارات دقيقة أشرنا إليها آنفا .

٢– حذف (الياء) من كلمة «رب» :

وذلك إذا : أضيفت إلى ضمير المتكلم المفرد ، سواء كان مذكرًا في المعنى أو كان مؤنثًا ، ولنبدأ بالأمثلة .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾

(البقرة : ١٢٦)

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(آل عمران : ٣٥)

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

(آل عمران : ٣٦)

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

(آل عمران : ٤٠)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

(الأعراف : ١٥١)

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾

(يوسف : ١٠١)

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾

(إبراهيم : ٤٠)

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الحجر : ٣٩)

﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾

(طه: ٨٤)

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٩)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾

(المؤمنون: ٣٩)

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾

(الفرقان: ٣٠)

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾

(النمل: ٤٤)

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٨)

هذه أربعة عشر موضعًا وردت فيها كلمة «رب» محذوفة (الياء) المضاف إليه، وتركيز النظر والتأمل فيها يسفر عن الخصائص النظمية والبيانية الآتية:

إن كلمة «رب» فيها جاءت منادى.

إنها جاءت مضافة إلى (ياء) المتكلم المفرد، مذكرا ومؤنثا، والغالب هو التذكير.

محذوف منها حرف النداء (الياء).

إن موضعين منها ذكر فيهما حرف النداء (الياء).

إنها مستعملة في الدعاء إلا نادرا.

إنها - أعني كلمة رب - المراد منها (الله) - عز وجل -.

والذي يدخل معنا في أصل موضوعنا من هذه الدراسة هو حذف (الياء) المضاف إليه في كلمة «رب» المدلول عليه بالكسرة تحت (الباء) لأن هذا التصرف يعتبر «خصوصية» من «خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف» أما في الرسم الإملائي الحديث فيثبت حرف الياء هكذا «ربي» ولا يُحذف، فإذا حذف فهو مقتبس من رسم المصحف.

أما حذف «ياء» النداء فلا يعد من «خصوصيات الرسم العثماني».

وإنما له دواع بلاغية سنشير إليها - إن شاء الله - تعميما للفائدة.

مع ملاحظة أن في القرآن مواضع أخرى كثيرة حُذف فيها (الياء) المضاف إليه آثرنا الاكتفاء بما ذكرناه عنها توخيا للإيجاز.

أما السر الذي رمز إليه بحذف (الياء) المضاف إليه، في المواضع المذكورة قبلا وفي المواضع التي لم نذكرها فهو: التخفيف والتيسير؛ لأن كلمة «رب» تستعمل كثيرا في حياة المسلم في الدعاء وفي غير الدعاء، ولما كان كل حذف لابد أن يكون في الكلام دليل يدل عليه كانت الكسرة تحت (الباء) هي الدليل على (الياء) المحذوفة؛ لأن الكسرة من فصيلة (الياء) في النطق.

وقد تقدم مرات أن من قواعدهم في الحذف الرمز إلى أن المحذوف منه أمر غيبي، وهذا وارد هنا؛ لأن «رب» من حقائق الإيمان الغيبية،

أو ما يطلق عليه في الفكر الفلسفي (ما وراء الطبيعة)[١٩]، ولهذا وذاك:

فإن (الياء) حُذفت من كلمة «رب» في القرآن الكريم إذا كانت منادى مضافا إلى ضمير المتكلم المفرد، في جميع مواضع ورودها في الذكر الحكيم.

أما حذف (ياء) النداء معه، حيث لم يذكر إلا في موضعين، فله معنيان متلازمان:

الأول: الرمز إلى أن المنادى (الذات العلية) قريب من الداعي (المنادي) وأداة النداء (الياء) ينادى به البعيد، والله ليس بعيدًا كما قال هو - عز وجل -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٦)

الثاني: هو التخفيف والتيسير؛ لأن قوله تعالى ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ ﴾ (الأعراف: ١٥١)

أخف في الأداء من: (ربي)

أما الموضعان اللذان ذكر فيهما (ياء) النداء، وهما:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠)

---

(١٩) ما وراء الطبيعة مصطلح فلسفي المقصود منه معرفة ما لا يدرك بواحدة من الحواس الخمس:
(البصر - السمع - الذوق - المس - الشم) وطريق معرفة ما وراء الطبيعة هو الوحي الإلهي وإخبار الرسل.

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٨)

فإن هاتين الآيتين تحكيان قول صاحب الرسالة ﷺ والموضعان واردان في مقام الشكوى من قومه.

ففي آية الفرقان يشكو عليه السلام قومه إلى ربه لهجرهم القرآن.

وفي آية الزخرف يشكوهم إلى ربه لإعراضهم عن الإيمان مع حرصه الشديد على إيمانهم، وحب الخير لهم.

ومقام الشكوى مقام إطناب لا مقام إيجاز كما هو معروف بلاغة ولا يفهم من ذكر (ياء) النداء هنا، أن الرسول ﷺ استشعر بعد ربه عنه - حاش لله - وإنما استشعر بعده هو عن ربه، متوهما أن تقصيرًا ما في مجال الدعوة حدث، كان نتيجته هجر قومه للقرآن، وإعراضهم عن الإيمان.

لذلك ناداه نداء المنادى البعيد بدلًا من المنادى القريب.

وليس هذا الشعور ببعيد عن الذين يخشون ربهم كل الخشية، ورسولنا الكريم ﷺ إمام المتقين، الذين قال الله فيهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٦٠) [٢٠]

ولم يذكر في غير هذين الموضعين حرف النداء (يا) في القرآن الكريم، لا في «رب» المضاف إلى ضمير المتكلم - وقد مرت

---

(٢٠) انظر مفردات الراغب «٤٨٧».

بعض شـواهده – ولا في المضاف إلى ضمير الجمع المتكلم، ومن شواهده يأتي:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾
(البقرة: ٢٨٦)

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾
(آل عمران: ٨)

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾
(آل عمران: ٩)

﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾
(المائدة: ١١٤) [٢١].

٣- حذف الياء من كلمة «قوم»:

ومـن الكلمـات التـي لازمها حـذف (اليـاء) إذا كانـت منادى مضافًـا إلى ضمير الفرد المتكلم، كلمة «قوم» فهي دائما في القرآن ﴿يَٰقَوْمِ﴾ محذوفة (الياء) مدلولا عليه بالكسرة تحت (الميم).

ومن أمثلتها الآيات الآتية:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ﴾ (البقرة: ٥٤)

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ﴾
(الأنعام: ١٣٥)

---

(٢١) انظر دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في توظيف اللغة.

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾

(الأعراف : ٥٩)

﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾

(يونس : ٨٤)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾

(هود : ٢٨)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

(النمل : ٤٦)

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ ﴾

(غافر : ٣٩)

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾

(يس : ٢٠)

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف : ٥)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ (نوح : ٢)

هذا قليل من كثير، من مجيء كلمة «قوم» مضافة إلى ضمير المفرد المتكلم، محذوفًا منها (الياء) المضاف إليه.

ولم يأت هذا الحذف اعتباطاً خالياً من الدلالة على معنى، بل له معنى من أجله كان حذف (الياء) من كلمة

«رب» التي تقدم الحديث عنها.

بيد أن المعنى المرموز إليه بحذف (ياء) - «رب» يختلف عنه المعنى المرموز إليه بحذف (ياء) - «قوم».

المعنى المرموز إليه بالحذف في «قوم» هو الدلالة على أن المتكلم منفصل عن المخاطب من جهة، وممتزج به من جهة أخرى.

هو ممتزج بالمخاطبين عن طريق إضافتهم إلى ضميره؛ لأن من يضيف «قوم» إلى ضميره دل على أنه واحد منهم، وإلا لما صحت الإضافة، أما انفصاله عنهم باعتباره مخاطبًا لهم وهم يسمعون خطابه فقد رمز للدلالة على هذا المعنى بحذف (الياء) الذي هو كناية عن المتكلم [٢٢].

ولسائل أن يقول:

ما الفائدة من الإيماء إلى أن المنادي قومه منفصل عنه؟

وهل هذه الإشارة يترتب عليها كبير معنى؟

والإجابة عن هذا السؤال نوجزها فيما يأتي:

ليس المراد الإشارة اللطيفة إلى الانفصال الحسي بين القوم وبين من يناديهم بـ (ياقوم) بل المراد فيما نفهم هو الإشارة إلى تفاوت الرتبة بين المنادي والمنادى لأن المنادي رائد قومه يخاطبهم خطاب الرائد الرشيد وهذا يتضح من النظر في مضامين النداءات الآتية:

فقول موسى عليه السلام:

---

(٢٢) النحاة يطلقون على كل ضمير مصطلح (كناية)، وهي غير الكناية البلاغية التي هي إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾

(البقرة: ٥٤)

يناديهم موسى مناداة الناصح الأمين فيذكرهم بخطئهم الذي وقعوا فيه ويدعوهم إلى التوبة إلى الله وفي هذا تمايز بين الرتبتين:

رتبة موسى وهو رسول الله المبعوث هاديًا إلى بني إسرائيل، ورتبة قومه الوالغين فى الآثام والمعاصي.

فجاء حذف (الياء) من ﴿يَٰقَوْمِ﴾ مشعرًا بأن موسى - عليه الصلاة - بريء مما وقع فيه قومه فرتبته فوق رتبتهم ولم يكن شريكًا لهم فى معاصيهم.

وقول مؤمن يس:

﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

دل حذف (الياء) على رفعة رتبة هذا المؤمن إذ هو مؤمن بالرسل متبع لهم وقومه كافرون بالرسل عاصون لهم، فهو من هذه الجهة منفصل عنهم وإن كانوا قومه فهو واحد منهم وخيط فى نسيجهم باعتبارهم قومه ومنفصل عنهم معنى؛ لأنه مهتد وهم ضالون.

وقول نوح لقومه:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

مخبر لهم بأنه رسول الله إليهم يخاطبهم خطاب العالم لغير العالم فجاء حذف (الياء) فى ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ليدل على انفصاله عنهم من حيث العقيدة والعمل وإن كان واحدًا منهم لأنهم قومه.

وقول مؤمن آل فرعون لقومه:

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾

فيه تحذير لهم من الركون إلى الحياة الدنيا ويرغبهم في الحياة الآخرة فهو ناصح لهم يعلم ما لا يعلمون ويعمل ما لا يعملون.

ومن أجل هذه الفروق بينه وبين قومه حذف (الياء) ليدل هذا الحذف على انفصاله عنهم عقيدة وسلوكًا وإن كان واحدًا منهم لأنهم قومه.

وهكذا اتضح لنا أن حذف (الياء) المضاف إليه في ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ليست دلالته الانفصال الحسي بل دلالته الانفصال (الرتبي) فرتبة المنادي فوق رتبة القوم الذين يناديهم.

وهذا المعنى جدير بلفت الأذهان إليه فجاءت هذه «الخصوصية» وهي حذف (الياء) رمزًا له.

٤- حذف الياء من كلمة (واد):

وكذلك حذف (الياء) من كلمة «واد» في المواضع الآتية:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾

(طه: ١٢)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾

(النمل: ١٨)

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

(القصص: ٣٠)

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

(النازعات: ١٥ - ١٦)

(الياء) المحذوفة من «الواد» في الآيات الأربع ليست اسمًا ولا ضميرًا وإنما هي أصل من أصول الكلمة وأسباب الحذف والأسرار اللطيفة التي كان من أجلها الحذف يختلف من موضع لآخر.

ففي «الواد المقدس» حذف (الياء) للتنويه برفعة مكانة هذا «الواد» ولسرعة إجراء الوصف بالتقديس عليه.

وكذلك ﴿ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ وقد وصفه الله -عز وجل- بما يبين فضله وعلو مكانته.

وقد رمز إلى هذا الفضل بحذف (الياء) ثم وصف الواد بالأيمن ثم البقعة المباركة.

أما ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ فإن (الياء) حذفت فيها رمزًا إلى معنى آخر مغاير للمعنى الذى تقدم في حذف (الياء) من «واد» في الآيات الثلاث الآنفة الذكر.

ذلك المعنى هو خفاء الوادي وخفاء النمل المقيم فيه.

وقد تقدم أن حذفه في بعض الأفعال كان رمزًا على معنى «الغيبة» في مثل:

﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴾

(القمر: ٦)

وهذا المعنى قد تحقق في ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ لأن سليمان عليه السلام وجنوده لم يكونوا يعرفون هذا الوادي وهم يبدءون السير فيه ولذلك قالت النملة:

﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

فنفت عنهم الشعور بالواد وبما فيه من النمل والشعور هو أول درجات الإِحساس.

وهكذا كان حذف (الياء) في الآيات الأربع رمزًا على معنى لطيف وسر طريف.

وقد توفرت في المواضع الأربعة شروط الحذف البياني البليغ.

فمقتضى الحذف هو الدلالة على المعاني اللطيفة التي سبقت الإِشارة إليها.

ودليل المحذوف هو الكسرة تحت الدال في جميع المواضع التي حذف فيها (الياء) في الأفعال والأسماء.

٥- حذف الياء من كلمة (الجوار):

وحُذفت (الياء) من كلمة «الجوار» ثلاث مرات في القرآن الكريم والأصل «الجواري» والمواضع الثلاثة التي حذفت فيها (الياء) هي:

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾

(الرحمن: ٢٤)

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾

(التكوير: ١٥، ١٦)

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾

(الشورى: ٣٢)

وحذف (الياء) في سورتي الرحمن والشورى من كلمة ﴿ ٱلْجَوَارِ ﴾ له معنيان:

أحدهما: الدلالة على توفير العناية بالحدث «الجري».

والثاني: سرعة الجري ويسره بتدبير الله عز وجل بدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ﴾

أي: له هو لا لغيره ولو شاء لتوقفت عن الجري، بدليل قوله تعالى:

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾

(الشورى: ٣٣، ٣٤)

وحذف (الياء) هو الذي أومأ إلى هذين المعنيين، أما توفير العناية بالحدث فله دليل آخر هو:

حذف الموصوف «السفن» وإقامة الوصف «الجوار» مقامه.

وقد مر أن (الياء) قد رمز به إلى سرعة وقوع الحدث في مواضع تقدم الحديث عنها في بحثي الأفعال والأسماء الآنفة الذكر.

وأما قوله تعالى:

﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾

فإن حذف (الياء) مع رمزه إلى سرعة الجري فإنه رمز كذلك إلى غيبية هذا الجري وعلويته؛ لأنه لا يدرك بالعين الباصرة وإن كان شأنه أن يدرك بها.

٦- حذف الياء من (المتعال) و(متاب) و(عقاب):

وكذلك حذف (الياء) من ثلاث كلمات في سورة واحدة على الترتيب الآتي:

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾

(الرعد: ٩)

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾

(الرعد: ٣٠)

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

(الرعد: ٣٢)

والحذف في الكلمات الثلاث مرموز به إلى معان دقيقة كما تقدم:

ففي ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ (الياء) المحذوف أصل من أصول الكلمة وأصله «واو»؛ لأنه اسم فاعل من مادة: علا يعلو ولهذا الحذف معان لا معنى واحد فإذا أجريناه على القواعد التي ذكرت من قبل صح أن يكون الحذف دالًا على أن الله تعالى له الغيب الكلي الذي لا يشرك فيه أحدًا.

- وأن يكون الحذف دالًا على غيبية هذا التعالي الذي لا يحيط به أحد غير الله عز وجل.

- والمعنى الثالث هو تحقيق التناسق الصوتي؛ لأن فاصلة الآيات التي قبلها يصح الوقوف عليها بالسكون وكذلك الآيات التي بعدها هكذا:

«متاع - أناب - القلوب - مئاب - متاب - الميعاد - عقاب - هاد - واق» ولو كان (الياء) قد ذكر ولم يحذف ما تحقق هذا التناسق والانسجام.

وقد تقدم مرات أن بناء فواصل الآيات بما يحقق هذا التناسق فيه خدمة للمعنى واللفظ ولا يقتصر على خدمة التناسق الصوتي؛ لأنه يجذب سمع السامعين وفي هذا إقبال للقلوب على سماع كتاب الله وهذا الإقبال يمكن القلوب والعقول من تدبر معاني القرآن وتذوقها فيدعوهم ذلك للإيمان به والعمل بمقتضاه وإقامة الحجة لله على من أعرض أو كفر.

وهذا المعنى ينطبق على حذف (الياء) في الآيتين الأخريين:

﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾

و ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾

بيد أن ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فيه رمز آخر لمعنى لطيف؛ لأن المراد بـ﴿عِقَابِ﴾ المعنى الذهني لما أنزله الله من الجزاء الوفاق لمكذبي الرسل وليس المراد الحدث نفسه أعني العذاب الذي وقع بهم فعلًا.

لأن ذلك العذاب وقع في زمن قديم فلا يمكن مشاهدته ساعة نزل القرآن فهو مثل:

﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

الذي سبق الحديث عنه.

وإن شئت فقل: إن حذف (الياء) في كلمتي ﴿عِقَابِ﴾ و﴿نَكِيرِ﴾ يرمز إلى غيبية وقوع الحدث وبقاء ذكره، ثم ارجع إلى

المصحف وانظر فيما تقدم وما تأخر عن هاتين الكلمتين تجدهما أسهما في تحقيق الإيقاع الصوتي الآسر للسمع والقلوب.

٧- حذف الياء من كلمة (دعاء) و(الجواب) و(عقاب) و(دين):

قوله تعالى:

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾

(إبراهيم: ٤٠)

وحذف (الياء) من كلمة ﴿دُعَآءِ﴾ رمز إلى رغبته الشديدة عليه السلام في سرعة استجابة الله له مع تحقيق التناسق في الإيقاع الصوتي وقد أشرنا من قبل أن فيه رعاية للمعنى واللفظ معًا.

وفي سورة «سبأ» ورد حذف (الياء) في قوله تعالى:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾

(سبأ: ١٣)

فقد حذف (الياء) من كلمة (الجَوَابَ) جمع جابية وهي البئر الواسع أو الحياض التي يجمع فيها الماء.

وقد وجه حذف (الياء) الإمام ابن عطية أنه للتخفيف والإيجاز، ومعروف أن المفسرين لا يكترثون كثيرًا بخصوصيات الرسم القرآني كعلماء علوم القرآن، والذي نراه في توجيه حذف (الياء) هنا بناء على ما ذكره أهل العلم من قواعد في توجيه هذه الخصوصيات:

أن الحذف رمز إلى الفرق بين المشبه (الجفان) وبين المشبه به (الجَوَابَ).

فالجفان مهما كانت ضيقة أو واسعة فهي بارزة فوق الأرض يراها الناظر إليها من بعيد.

أما (الجَوَابَ) فهي أماكن غائرة في الأرض.

فهي تختفي أمام النظر ولا يدركها إلا من وقف على حافتها.

وقد تقدم كثيرًا أنهم فسروا حذف (الياء) لوجوه منها الرمز إلى الخفاء أو الغيبية.

وإعمال هذه القاعدة في (الجَوَابَ) ليس بمستنكر، وهذا التوجيه أحرى بالقبول من توجيه الإمام (ابن عطية)؛ لأنه لو كان هو المراد لاطرد فيما ماثل هذه الكلمة (الجَوَابَ) في القرآن كله.

وأحرى بالقبول من توجيه الإمام الزركشي؛ لأنه مضطرب العبارة وغير مفهوم [٢٣] أما قوله تعالى:

﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾

(ص: ١٤)

بعد قوله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾

(ص: ١٢، ١٣)

---

(٢٣) عبارة الإمام الزركشي في توجيه حذف «الياء» من «كالجوار» هي: وكذلك «كالجوار» من حيث التشبيه فإنه ملكوتي، إذ هو صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكي البرهان في علوم القرآن (١/٤٠٢).

فيحتمل فيه حذف (الياء) من كلمة ﴿عِقَابِ﴾ وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد من ﴿عِقَابِ﴾ ما حل بهؤلاء القوم من عذاب الله العاجل لما كذبوا الرسل ويكون الحذف رامزًا إلى المعنى الذهني المتعلق بذلك العذاب الذي وقع قبل النزول للقرآن.

الثاني: أن يكون المراد من ﴿عِقَابِ﴾ ما أعده الله لهؤلاء المكذبين من الخلود في النار في الآخرة ويكون الحذف حينئذ رامزًا إلى غيبية ذلك العقاب لأنه سيكون في الآجلة.

فإن كان الأول فالغيبية فيه نسبية مراعى فيها الزمن الذي وقع فيه ذلك العقاب والزمن الذي نزل فيه القرآن مخبرًا بوقوعه.

وإن كان الثاني كانت «الغيبية» فيه حقيقية من كل وجه؛ لأنه سيقع بعد الإخبار عنه.

- ومثل هذه الآية في احتمال الوجهين في حذف (الياء) قوله تعالى:

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾

(ق: ١٤)

أي: ما حل بهم في الدنيا أو ما أعده الله لهم في الآخرة.

ونختم مبحث حذف (الياء) بهذه الآية:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون: ٦)

وحذف (الياء) هنا يرمز إلى معنى لطيف وهو الإشارة إلى كمال الدين المضاف إلى ضمير المتكلم محمد ﷺ هذا من حدث المعنى، أما من حيث اللفظ فهو تحقيق التناسق الصوتي؛ لأن فواصل السورة

كلهـا مُبتنـاه على أحرف : النـون ـ الدال ـ الميـم الصالحة للوقوف عليها بالسـكون ، هكذا «الكافرون ـ تعبدون ـ أعبد ـ عبدتم ـ أعبد ـ ديـن» ولو كان قد ذكـر (الياء) في ﴿دِينِ﴾ هكذا : «ديني» لاختل الوقف عليه بالسكون .

أما دلالة حذف (الياء) على كمال الدين فقد تقدمت له نظائر منها :

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ ﴾

(الروم : ٥٣)

فحـذف (الياء) مـن ﴿هَادٍ﴾ رمزًا إلى الهدايـة العظمى التي لا يملكها إلا الله عز وجل [٢٤] .

جـ- زيادة ونقص الألف:

الألف ـ زيادة ونقصًا ـ من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشـريف وزيادتـه ونقصه لم يكـن عبثًا بل له لطائف وأسـرار ذات معانٍ لم تكن تتصور إلا من وراء زيادة الألف أو نقصه .

وها نحـن أولاء نعرض بعـض المواضع من الذكـر الحكيم التي يـزاد فيها «الألف» أو ينقص بادئين بمواضع الزيادة وأسـرارها لقلة الكلام على الزيادة بالنسـبة للنقص وذلك كله على غرار ما سلكناه في مباحث زيادة وحذف «الواو» وزيادة وحذف (الياء) .

أولاً: زيادة «الألف»:

١ – من أظهر زيادات «الألف» : الألف المزيدة في قوله تعالى :

(٢٤) الهدايـة العظمى هـي الهداية القلبية بنصب الدلائـل الموصلة إلى الحق الذي لا يشوبـه زيغ وتقابلها الهدايـة الحسية، كالدلالة على الطريق بـين مكانين وهذه من مقدورات البشر.

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾
(النمل: ٢١)

بالنظر في ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ تجده فعلًا مضارعًا مسبوقًا بـ«لام» القسم أو التوكيد وبعد «اللام» الهمزة التي هي علامة الفعل المضارع وبعد هذه الهمزة تجد ألفًا بين الهمزة وبين أحرف الفعل وأولها حرف «الذال».

انطق الفعل في صورته «المضارعية» ولاحظ كيفية «النطق».

«الألف» بعد الهمزة غير منطوقة، أي إن وجوده وعدمه سواء في النطق.

إذن هو حرف زائد؛ لأنه يُكتب ولا يُنطق، وهو بهذا الاعتبار خصوصية من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

أما المعنى اللطيف، الذي من أجله كانت زيادة «الألف» فهو كما قال العلماء: الإشارة إلى أن ما بعد «الألف» وهو «الذبح» الذي توعد به سليمان عليه السلام الهدهد، أقسى وأشد إيلامًا مما قبله، وهو «التعذيب»، الذي تضمنه الفعل ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ ﴾ [٢٥].

٢- ومن الشواهد زيادة «الألف» في قوله تعالى:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف: ٨٧)

الفعل ﴿ يَاْيْـَٔسُ ﴾ تكرر في الآية الكريمة مرتين، وفي كل مرة جاءت فيه زيادة «الألف» بعد (الياء) الأولى، وقبل (الياء) الثانية،

---

(٢٥) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٨١).

وعلامة زيادة «الألف» أنه كُتب ولم ينطق ؛ لأن الذي يظهر في النطق هو الياءان متتابعين في النطق بلا فاصل ، أما في الرسم العثماني فإن حرف «الألف» فصل بينهما كما ترى ذلك واضحًا في رسم الفعلين .

أما من حيث المعنى فإن لحرف (الياء) المزيد سرًا لطيفًا نص عليه العلماء .

وبيان ذلك أن «اليأس» مرحلة نفسية لا يكون حدوثها ابتداءً بلا مقدمات وإنما يسبقها مرحلة أخرى ، والعلاقة بين المرحلتين علاقة السبب بالمسبب أو علاقة المسبب بالسبب .

اليأس لا بد أن يسبقه رجاء وطول ترقب وانتظار .

ومع طول الترقب والانتظار لا بد من الصبر ، والصبر من الأمور الشاقة على النفس ، وبخاصة إذا كان طويلًا .

ومهما كان الأمر فإن الصبر أخف وقعًا على النفس من «اليأس» ؛ لأن الصبر يصاحبه أمل في الحصول على المطلوب ، أما «اليأس» فهو قطع الرجاء مع خيبة الأمل .

لذلك كانت زيادة «حرف الألف» إشارة إلى ثقل «اليأس» وشدة آثاره على النفوس .

ومن شأن «اليأس» أن يدعو إلى توقف السعي والاستسلام إلى الأمر الواقع .

فإذا عدنا إلى قول يعقوب عليه السلام إلى بنيه :

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف : ٨٧)

نجد هذا الرسول الكريم يريد أن يثبِّت بنيه على الصبر والسعي وحسن الظن في الله، ونهاهم عن «اليأس» لأنه سوف يثبط هممهم، ويصيب حركتهم بالشلل التام.

ومن أجل هذه «اللطيفة» كانت زيادة «الألف» رمزًا للدلالة على هذا المعنى.

٣- ومنه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾

(الكهف: ٢٣)

لاحظ رسم كلمة﴿ لِشَاْىْءٍ ﴾ تجده على غير المعهود في الرسم المصحفي فعلى كثرة ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم لم تأت فيها زيادة «الألف» بين «الشين» و(الياء) إلا في هذا الموضع.

فلماذا جاء حرف «الألف» فيها هنا، مع خلو كل كلمة «شيء» منه، وقد وردت فيه مئات المرات؟

والجواب هو:

إن كلمة ﴿لِشَاْىْءٍ ﴾ في آية «الكهف» لها معنى يختلف اختلافًا يسيرًا جدًا عن معاني كلمة «شيء» بدون زيادة «الألف» الملحوظة في آية «الكهف».

وهذا المعنى المرموز إليه بزيادة «الألف» هو: أن كلمة ﴿لِشَاْىْءٍ ﴾ هي الوحيدة في القرآن التي تدل على أن شاىْء لا يكون موجودًا حين إجراء الحديث عليه.

والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾

يعني أنه شاىْء سيفعل بعد زمن التكلم: غدًا أو بعد غد.

﴿لِشَاْيْءٍ﴾ **الذي في آية «الكهف» مقطوع بعدم وجوده ساعة التكلم.**

أما فيما عدا آية «الكهف» فلم تخضع معانيها للقطع بعدم الوجود، وهكذا انفرد معناها من بين أخواتها في القرآن الكريم، فانفرد رسمها الخطي تبعًا لانفراد معناها.

إن هذه الخصوصية لهي من أبرز وأدق تلك الخصوصيات القرآنية.

٤- زيادة حرف «الألف» في كلمتين أخريين من كلمات القرآن الكريم:

الأولى:

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(المائدة: ٢٩)

الثانية:

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾

(القصص: ٧٦)

والكلمتان هما: ﴿تَبُوٓأَ﴾ والأصل قبل الزيادة «تبوء».

والثانية: ﴿ لَتَنُوٓأُ ﴾ والأصل قبل الزيادة: «لتنوء»، والمعنى

المرموز إليه بزيادة «الألف» في﴿ تَبُوٓأَ ﴾ هو الإشارة إلى مضاعفة «الإثم» المشار إليه في ﴿بِإِثْمِى ، وَإِثْمِكَ ﴾.

والمعنى المرموز إليه في﴿ لَتَنُوٓأُ ﴾ هو ثقل مفاتح الكنوز التي مَنَّ الله بها على قارون، وثقل ما في الكنوز من خزائن المال.

فأنت ترى ماذا دلت عليه زيادة «الألف» في هذين الفعلين، وأن الزيادة لم ترد عبثًا، بل لمعنى لطيف.

٥- ومما جاءت زيادة (الألف) فيه قوله تعالى:

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾

(الفجر: ٢٣)

والزيادة ظاهرة في الفعل الماضي ﴿ وَجِاْىٓءَ ﴾ والأصل قبل الزيادة (جيء) لأنه فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله.

أما المعنى اللطيف المرموز إليه بهذه الزيادة فهو لفت الأذهان إلى أن هذا (المجيء) غير معهود لدى الناس لأنهم في الدنيا لم يروا جهنم لا قارة ولا قادمة ولا ذاهبة.

لكنهم -مؤمنين وغير مؤمنين- سيرونها (جائية) يوم القيامة.

ويضاف إلى هذا المعنى معنى آخر يفهم من السياق وهو تهويل وتفظيع هذا المجيء، والترويع منه.

ومما يؤكد أن هذه الزيادة قُصد منها هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(الزمر: ٦٩)

فهـذا المجيء مثل المجيء الأول غيـر معهود لدى المخاطبين ؛ لأنهم لم يروا في الدنيا موكبًا يسـير فيه النبيون والشـهداء قادمين في طريق واحد .

فكانت الزيادة فـي الموضعين رمزًا على غرابة المجيء وتهويله في الأول وعلى غرابته وتعظيمه في الثاني .

٦- وقد يزاد (الألف) في كلمات فواصل الآيات :

رمزًا إلى معنى لا تدل عليه نفس الكلمة في درج الآية ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾

(الأحزاب : ٦٦)

والأصل في الرسـم قبـل الزيادة : الرسـول ، فجـيء بالألف بعد (اللام)[٢٦] .

والمعنى الذي رُمز إليه بهذه الزيادة هو شدة التحسر والندم ؛ لأنهـم تمنوا طاعة الله وطاعة رسـوله بعد فـوات الأوان ؛ لأنهم قالـوا هذا الـكلام وهم في النار ، وشـبيه بهذه الزيـادة في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾

(الأحزاب : ٦٧)

هـذا الـكلام صدر منهـم عن طريق الشـكوى والتفجـع فزيدت

---

(٢٦) هــذه (الألف) تسمى: ألف الإشباع وألف الإطــلاق، أي: إطلاق الصوت ومده من ألم وشكوى.

(الألف) كاشفة عن الأسى الشديد الذي يعتمل في نفوسهم.

٧- ومثل هاتين الآيتين، أو قريبة منهما كلمة ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ في قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾

(الإنسان: ٤)

لأن كلمة (سلاسل) ممنوع من الصرف، فحقها أن تُنصب بالفتحة، بلا تنوين لكنا نراها في الرسم القرآني زيدت فيها الألف بعد اللام الأخيرة، لكن هذه الألف غير منطوقة، فهي زائدة في الخط، غير زائدة من حيث المعنى.

لأن المقام مقام تهويل وتفظيع لما أعده الله للكافرين من آلات العذاب المهين.

وهي السلاسل، والأغلال، والسعير، وقد دُلَّ على التهويل فيها بـ(التنكير) لأن الكلمات الثلاث جاءت منكرة لا معرفة.

واختصت كلمة ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ بزيادة تدل على التهويل لشأنها، وشدة إيذائها للكافرين، هي زيادة الألف في آخرها[٢٧].

٨- زيادة حرف (الألف) بعد الميم في (مائة ومائتين) في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا

(٢٧) وقيل إن إثبات الألف في ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ لأن بعض القراء قرأها منونة، انظر المغني في القراءات (٢٦٦/٣) للدكتور محمد سالم محسن.

مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٥)

والأصل أن تكتب (مائة ومائتين) بدون ألف، والمعنى الذي من أجله كانت هذه الزيادة هو رفع اللبس إذا كُتبتا بدون (ألف) بين: مئة وفئة، ومئتين وفئتين.

لأن الفرق بين مئة وفئة، ومئتين وفئتين هو نقطة (الفاء) وهذه النقطة قد تسقط في الخط سهوًا، فجاءت زيادة (الألف) رافعة لهذا اللبس.

لا يقال إن كتابة مئة ومئتين بزيادة (الألف) ليست من (خصوصيات الرسم القرآني)؛ لأنها شائعة كذلك في الرسم الإملائي الحديث.

لأنا نقول:

إن الرسم الإملائي الحديث فيه اقتباسات كثيرة من خصوصيات الرسم القرآني وكتابة مئة ومئتين من هذه الاقتباسات، وغيرها كثير، مثل ذلك:

هذا، هذه، أولئك، هؤلاء، الملأ... إلخ.

٩- وزيد (الألف) في كلمة ﴿قَوَارِيرَ﴾ مرتين في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴾

(الإنسان: ١٥، ١٦)[٢٨]

(٢٨) قدروها: جعلوها مناسبة لكميات الشراب الذي يسقاه أهل الجنة على اختلاف مقادير الشراب، بحيث يحتسي الشارب الكمية التي يحتوي عليها الكوب ولا يُبقِي منه شيئًا وليس معنى قدروها: قدروا نوع المادة المصنوع منها الكوب.

زيـدت (الألف) لأن الأصـل: (قواريـر) والكلمـة ممنوعة من الصـرف وحقهـا النصـب بالفتحة بدون تنويـن مثل كلمة سَلَٰسِلَاْ التي تقدمت.

والمعنى المرموز إليه بزيادة (الألف) هو التنبيه على شدة بياض الأكواب.

لذلك زيد (الألف) للفت الذهن إلى ذلك المعنى الذي يرف وراء تلك الزيادة وهو الإلماح إلى شـدة الصفـاء والبياض، وهما صفتان يزكو بهما هذا (المعدن) النفيس.

١٠- كما وردت زيادة (الألف) في كلمة (لؤلؤ) في قوله تعالى:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾

(فاطر: ٣٣)

والأصل قبل زيـادة (الألف): (لؤلؤ)، ومثلهـا الآية (٢٣) من سورة الحج.

١١- ومثله قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾

(يونس: ٣٠)

١٢- وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾

(الروم: ٣٩)

١٣- وقوله عز وجل:

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

(الرعد: ٣٩)

١٤- وقوله جل شأنه:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾

(الزمر: ٩)

فالأفعال: ﴿تَبْلُوَاْ - يَرْبُوَاْ - يَمْحُواْ - يَرْجُواْ﴾، زيد في آخرها (الألف) لأنه لا ينطق وليس من أصول الأفعال التي زيد فيها.

فهو -إذن- زائد في الخط، غير زائد من حيث المعنى.

لأنه رمز بزيادته للدلالة على تكثيف دلالات الفعل مقارنًا بدلالة الاسم.

ومُحالٌ أن تكون زيادته لغير معنى؛ لأنه حينئذ يكون حشوًا، وكتاب الله العزيز

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

(فصلت: ٤٢)

التطبيقات التي أجريناها على القاعدة الكلية في زيادة (الألف) في أواخر بعض الأفعال، هي الأصل، وقد توسعوا في صور زيادتها، في غير الفعل المضارع المسند إلى ضمير الفاعل المفرد، كما نقلوه من الفعل المعتل الآخر (الناقص) إلى غيره من الأفعال الصحيحة الآخر.

١٥- فقد جاءت هذه الزيادة في الفعل الماضي، كما في قوله

تعالى:

﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾

(الفرقان: ١٣)

زيادة (الألف) تلحظها في الفعل ﴿دَعَوۡاْ﴾ وهو وإن كان معتل الآخر بـ (الواو) فإنه فعل ماض لا مضارع.

١٦- ومثله في المضي والاعتلال قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾

(الحج: ٥١)

الفعل ﴿سَعَوۡاْ﴾ زيد فيه (الألف بعد الواو) وهو ماض معتل بـ(الياء) لأن مصدره (السعي) والواو هي واو الجماعة؛ لأن الفعل غير مسند إلى ضمير المفرد، والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو المعنى نفسه الذي كنوا عنه بـ (ثقل الفعل) مقارنًا بخفة الاسم كما تقدم.

١٧- ومن أكثر ما توسعوا فيه، في زيادة (الألف) خارج دائرة (القاعدة) ما يأتي:

● كل فعل مضارع صحيح الآخر أو معتل الآخر إذا دخل عليه ناصب أو جازم.

وهاك الأمثلة:

﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٤)

والشاهد: ﴿تَصُومُواْ﴾ وهو صحيح الآخر منصوب بـ (أن).

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾

(الجن : ١٨)

والشاهد ﴿تَدۡعُواْ﴾ وهو معتل الآخر مجزوم بـ (لا) الناهية.

● كل فعل أمر مسند إلى (واو الجماعة) كقوله سبحانه:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

والشاهد ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ - ٱذۡكُرُواْ ﴾ وهما صحيحا الآخر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾

(الجمعة : ٩)

والشاهد (اسعوا) وهو معتل الآخر.

● كل فعل ماض أُسند إلى (واو الجماعة) سواء كان معتلًا أو صحيحًا كقوله عز وجل:

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾

(المائدة: ٧١)

والشاهد: ﴿عَمُواْ - وَصَمُّواْ ﴾وهما صحيحا الآخر.

وقوله تعالى:

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ ﴾

(البقرة: ٢٠)

والشاهد: ﴿مَّشَوۡاْ -قَامُواْ ﴾الأول معتل الآخر والثاني صحيح

الآخر. وأمثلة هذه الصور لا تكاد تحصى في كتاب الله عز وجل.

موقف الرسم الإملائي الحديث:

موقف الرسم الإملائي الحديث من هذه القاعدة مزدوج، فهو لم يلتزم بها في شطرها الأول، وهو زيادة (الألف) في الفعل المضارع المعتل الآخر إذا أسند إلى ضمير الفرد مثل: ادعوا، يمحوا - يرجوا - يتلوا.

لأن (الألف) لا يزاد في الخط الإملائي الحديث بعد الواو في هذه الأفعال، وما جرى مجراها، مثل فعل: يغزو، ينمو، يزكو.

أما في شطرها الثاني، وهو زيادة (الألف) في المضارع المنصوب والمجزوم والأمر والماضي، إذا أسندت إلى (واو الجماعة)، فإن الخط الإملائي الحديث قد أخذ منهج الرسم العثماني للمصحف الشريف في كتابة هذه الأفعال، قاصدًا من زيادة (الألف) الفرق بين هذه الأفعال، إذا أسندت إلى واو الجماعة، وبين المعتل بالواو إذا أسند إلى ضمير الفرد.. مثل: يدعوا، للجمع، ويدعو للمفرد.

وهاك الأمثلة:

١- قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

فالفعل ﴿أَدْعُوٓا۟﴾ مضارع معتل الآخر بـ(الواو) (ناقص)، وقد أسند إلى ضمير المفرد المستتر، الذي تقديره (أنا).

وقـد زيدت فيـه (الألف) بعد الـواو (لام الفعـل) والأصل قبل الزيـادة أن يرسـم الفعل هكـذا (أدعو) بدون ألـف، والألف حرف مزيـد على أصول الكلمـة (د، ع، و) وقد رُمز بهذه الزيادة إلى ثقل الفعل مقارنًا بالاسـم، وقد تقدم أن المراد مـن (ثقل الفعل) دلالته المتعددة التي هي الحدث، وهو هنا الدعوة والزمن وهو هنا المضارع والفاعل، وهو هنا الضمير المستتر في الفعل تقديره: أنا.

٢- ومثله قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(البقرة: ١٢٩)

والمعنـى المرمـوز إليه بهذه الزيـادة هو الإلماح إلـى تميز هذه التـلاوة (لفظًـا، وحفظًا وتحفيظًـا) لينقادوا له، وتزكو نفوسـهم باتباعه.

وهـذه المعانـي اللطيفـة وإن كان بعضهـا ملحوظًا مـن الكلمة نفسـها في بعض الكلمات التي تقدمت، فإن زيادة (الألف) معوان قـوي على إبرازها، ودفع الغفلة عنها؛ لأن مجيء الكلمة مزيدًا فيها حـرف غير منطوق، يدعو القارئ إلى التسـاؤل عن سـبب الزيادة، والتساؤل وسيلة إلى معرفة المعنى المراد.

مـا تقدم كانت الزيادة فيـه في كلمات أفـراد، وبقي مجال آخر لزيـادة (الألـف) هو بمثابة قاعـدة كلية، تنـدرج تحتها كلمات لا تدخل تحت الحصر وإنما يدخل فيها كل ما صلحت له القاعدة.

وهذا يتضح من البيان الآتي:

تأتي زيادة (الألف) في كل فعل مضارع معتل الآخر بـ(الواو) إذا أُسند إلى ضمير المفرد، سواء ورد في جملة تامة المعنى أو قُصد لفظ الفعل في نفسه دون قصد فاعله معه.

●● هذه هي القاعدة الكلية مثل:

يدعوا، يتلوا، يبلوا، يربوا، يمحوا، ينبؤا، يرجوا...

وما كان على شاكلة هذه الأفعال مندرجًا تحت هذه القاعدة.

والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو التفرقة بين الفعل والاسم، والفرق هو: أن الفعل مركب الدلالة؛ أما الاسم فدلالته مفردة.

فـ(محمد) هو اسم يثير في الذهن عند سماعه مجرد التصور حول شخص اسمه (محمد).

و(شجرة) وهي اسم لا تثير في خيال السامع إلا شكل شجرة، سواء كانت شجرة معهودة عند السامع، أو شجرة شائعة في جنس الشجر.

أما الفعل فهو باتفاق العقلاء يدل على ثلاثة معان:

فمثلاً، الفعل: صام يدل قطعًا على ما يأتي:

● الحدث أو المعنى، وهو الصوم، الذي هو الكف عن الطعام والشراب وشهوة الفرج.

● الزمن الذي وقع فيه الصيام، سواء كان نهار شهر رمضان أو غيره.

● الفاعل؛ لأن الفعل أثر يصدر عن مؤثر، ومحال أن يتصور فعل في الوجود بدون فاعل فعله.

وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذه الدلالة الفعلية مصطلح

(الثقـل)[٢٩] وقالـوا إن زيـادة (الألف) في الفعل فـي الطائفة التي ذكرناها من الأفعال، إنما هي رمز إلى ثقل الفعل مقارنًا بالاسم.

وهما الأداتـان اللتان تتكون منهما الجمـل والتراكيب المفيدة فـي اللغـة العربية وفـي مقدمتها القـرآن الكريم والحديـث النبوي وكتب التراث.

ثانيًا: حذف الألف (نقص الألف):

حذف الألف، أو نقص الألف في الرسم العثماني الشريف، أكثر خصوصيـات رسـم المصحف، فلا تكاد تخلو منه سـورة من سـور القرآن، وإحصاء المواضع التي وردت فيها هذه (الخصوصية) ليس ميسـورًا في مثل هذه المختصرات بل يحتاج إلى سفر ضخم، تُسرد فيه صوره، ويشار فيه إلى لطائفه وأسراره.

ومـن اللافت للنظر في صـور هذه (الخصوصية) أنـك كثيرًا ما تجـد الكلمة الواحـدة محذوفًا فيها (الألف) فـي أكثر من موضع، ومرةً أو مراتٍ أخرى مثبتًا فيها (الألف) الذي حُذف منها وذلك في مواضع كثيرة منها:

(الكتاب) و(القرآن) مقترنتين بـ(أل) أو غير مقترنتين.

نـرى (الألـف) محذوفًا فـي بعض مواضـع ورودهـا، ومثبتًا في مواضع أخرى.

ومحال أن يكون الحذف والإثبات خاليين من الدقائق والأسـرار التي اقتضت الحذف أو الإثبات.

---

(٢٩) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/٣٨٢).

ولا ندعي أننا سنعرض لكل موضع من هذه المواضع، وإنما نسير سيرتنا التي ألفناها من قبل وهي سوق بعض الشواهد كي تزيل كثرة التساؤل حول هذه (الخصوصيات) ونكشف عن المعاني الخبيئة وراءها.

١- حذف (الألف) من (باسم) مضافًا إلى اسم الجلالة (الله):

هذه (الخصوصية) نراها في أول كلمة من أول آية في أول سورة من القرآن الكريم (سورة الفاتحة) حسب الترتيب المصحفي في قوله تعالى:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

(الفاتحة: ١)

وهي الآية رقم (١)[٣٠] من هذه السورة الكريمة.

ونراها في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾

(هود: ٤١)

قوله عز وجل:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

(النمل: ٣٠)

في هذه الآيات الثلاث وردت كلمة (اسم) مضافة إلى (الله) وقد

---

(٣٠) ورد حول (بسم الله الرحمن الرحيم) خلاف مشهور بين أهل العلم، هل هي آية من سورة (الفاتحة)؟ وقد جزم قراء مكة والكوفة على أنها آية من سورة (الفاتحة) ومن كل سورة بُدئت بها، وذهب قراء المدينة والبصرة على أنها ليست آية لا من (الفاتحة) ولا من غيرها وإنما تذكر في أوائل السور للفصل بينها وللتبرك بها.

حذفت همزة الوصل بين حرف الجر (بـ) وبين (السين).

ثم نرى بعد ذلك أن (الألف) جاء مثبتًا في مواضع أخرى، وذلك في الآيات الآتية:

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الواقعة: ٧٤)

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الواقعة: ٩٦)

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الحاقة: ٥١، ٥٢)

هـذه ثلاث آيات جاء (الألف) فيها مثبتًا على خلاف ما تقدم في الآيـات الثلاث الأولـى، التي جاء (الألف) فيهـا محذوفًا، والآيات الست ورد فيها (اسم) مجرورًا بحرف الجر (بـ).

كمـا ورد مضافًا فـي الثلاث الأولـى، وفي الثـلاث الثانية، إلا أن الاختلاف بين المجموعتين كان في لفظ المضاف إليه، لا في المعنى.

فـ(باسـم) في المجموعة الأولى أضيف إلى اسم الجلالة (الله)، أما في المجموعة الثانية فقد أضيف إلى (ربك) ومعناه هو: (الله)، فاللفظان مختلفان، وأصل المعنى فيهما واحد.

هذه المقدمة تمهد لنا الطريق للإجابة عن هذا السؤال:

لماذا حُذف (الألف) في آيات المجموعة الأولى؟

ولماذا أثبت ولم يُحذف في آيات المجموعة الثانية؟

وخلاصة الجواب عن هذا السؤال:

إنهم رمزوا بحذف (الألف) في المجموعة الأولى إلى خصوصية معان يدل عليها اسم الجلالة (الله) ليس لها وجود في كلمة (ربك).

فاسـم الجلالة (الله) هو الاسم الخالص في كونه علمًا فردًا على خالـق السـماوات والأرض وما فيهما ومـا بينهما، هـو علم وليس صفـة، ودلالة (العلمية) هي الثبوت الـذي لا يعتريه أدنى توقف أو انقطاع. هذا معنى.

المعنى الثاني: أن اسم الجلالة (الله) لم يسم به كائن غير الله عز وجل، وإن كان غيره من الأعلام صالحًا لوقوع الاشـتراك فيه، مثل: محمد - أحمد - عمر، فهذه وإن كانت أعلامًا فإنها وقع ويقع فيها الاشـتراك كثيرًا، فآلاف الأشخاص يسمون محمدًا، وأحمد، وعمر في البلد الواحد، والزمن الواحد.

لكـن (الله) علم فرد، على مسـمى فرد، لا يجـوز نقلًا ولا عقلًا وقوع الاشتراك فيها أبدًا.

ومعنى ثالث: هو أن اسـم الجلالة (الله) لا يضاف إلى أي شيء؛ لأنه المتفرد في الجلال والكمال والجمال.

أما ما عداه من أسمائه الحسنى، ومنها (رب) فهي صفات لازمة لاسـم الجلالة فـ(الله) هـو الموصوف، وأسـماؤه الحسـنى الباقية (ثمانية وتسـعون اسـمًا) هي في التحقيق صفات كمال، وصفات جلال، وصفات جمال.

والموصـوف أصل، والصفات فروع، والأصـل هو مبدأ الفروع، والفروع توابع للأصل، الذي هو الله عز وجل.

لذلـك رُمـز فـي الرسـم العثمانـي للمصحف الشـريف بحذف

(الألـف) مـن (بسـم الله) للدلالة على هـذه المعاني ولـم يحذفوه عبثًا، حاشا لله.

أما إثباته في (ربك) في الآيات الثلاث

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾

ففيه توجيهان:

الأول: أنه جاء على الأصل، وما جاء على الأصل فلا يُلتمس له علة.

والثاني: أنه مع مجيئه على الأصل يراعى فيه سلب المعاني التي تقدمت مع اسم الجلالة (الله) وتفسير ذلك:

أن كلمـة (رب) ليسـت علمًا خالصًا علـى خالق الخلق، بل هي صفة تدل على التكوين والرعاية والإنعام، وهذا هو شأن ما عدا اسم الجلالة (الله) من أسـمائه الحسـنى؛ لأنها كلمـة ينقدح في الذهن عنـد سـماعها معنى الوصف، مثـل: الرحمن - الرحيـم - الأول - الآخر - الظاهر - الباطن - المحيي - المميت - القاهر - القهار - الغفـار - الكريم - القوي - الحميد - الودود - العظيم - المهيمن - العزيـز - الجبـار - الغفـور - العفـو - الخالق - الـرازق - الولي - الناصر - المعز - المذل - العليم - السـلام - الملك - الرافع - الخافض - الباسـط - القابض - المبدئ - المعيد - الحي - القيوم - الباعـث - الـوارث - المؤمـن - القدوس - الخبيـر - الحفيظ - الحافظ - الكبير - المتعال.

فهذه الأسـماء الحسنى إما صفة صريحة، وإما فيها لمح الصفة، ودلالة اسم (الجلالة) هي مبدأ هذه الصفات جميعًا، وموردها الذي ترد إليه.

وأسماؤه الحسنى -ما عدا (الله)- يسمى بها ويوصف بها غيره لملابسات تسوغ هذا الاتساع (اللهم إلا قليلًا منها، مثل: المحيي - المميت) فهي يقع فيها الاشتراك، وكذلك فإنها صالحة لأن تضاف إلى غيرها.

فالفروق -إذن- جد كبيرة بين اسم الجلالة (الله) وبين ما عداه من أسمائه الحسنى.

وإلى هذه المعاني رُمز في الرسم العثماني للمصحف الشريف بحذف (الألف) من (بسم الله) وإبقائه في (باسم ربك)، وبهذا يزول التساؤل الذي يثور في ذهن قارئ المصحف الشريف حين يقع بصره على (الألف) محذوفًا في (بسم الله) ومثبتًا في (باسم ربك).[31]

٢- حذف (الألف) من الأفعال الماضية المسندة إلى واو الجماعة:

القاعدة الإملائية المتبعة في الرسم العثماني للمصحف الشريف، وفي الخط الإملائي الحديث، في كل فعل ماض أسند إلى واو الجماعة هي: أن تزاد (الألف) بعد واو الجماعة، مثل: ذهبوا - كتبوا - أكلوا - قاتلوا - شاءوا، وهكذا.

وقد أخذ الخط الإملائي الحديث هذه الطريقة عن الرسم العثماني للمصحف الشريف.

---

(٣١) صورة هذا التساؤل: لماذا أثبت «الألف» هنا ثم حذف هناك؟ وهو تساؤل تمليه الضرورة لمعرفة السبب في الحالتين.

أما الآن فإنا سنبين لطائف وأسرارًا لحذف (الألف) في طائفة من الأفعال الماضية المسندة إلى واو الجماعة، خروجًا عن تلك القاعدة التي أثبتوا (الألف) فيها بعد واو الجماعة، فسنذكر تلك الأفعال، ثم نعقب عليها بالإشارة إلى المعنى الذي جاء حذف (الألف) رامزًا إليه.

والأفعال هي الواردة في الآيات الآتية:

أ- ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾

(الأعراف: ١١٦)

ب- ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾

(يوسف: ١٦)

ت- ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾

(يوسف: ١٨)

ث- ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾

(الفرقان: ٤)

هذه أربع آيات -ولها نظائر- جاء فيها الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة هكذا: ﴿جَآءُو﴾ محذوفًا منه (الألف) بعد واو الجماعة، بل إن كل ما في القرآن من الفعل (جاء) مسندا إلى واو الجماعة اطَّرد فيه حذف (الألف) ولم يشذ من هذا ولا فعل واحد[٣٢].

---

(٣٢) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار.. للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص٣٤) مطبعة الكليات الأزهرية، تحقيق الشيخ محمد الصادق قمحاوي.

وقـد نص العلماء على أن هذا الحـذف في كل مواضع هذا الفعل رُمز به إلى معنى واحد، ذلك المعنى هو الإشارة إلى ذم الفعل نفسه، يعني أنه مجيء معيب؛ لأنه في الشر لا في الخير[٣٣].

وإذا التمسـنا هذا المعنى فـي الأفعال الأربعة المذكورة ظفرنا به من أول وهلة ففي آية (الأعراف) كان المجيء بالسـحر في محاربة الإيمان، وفي آية (يوسـف) الأولى كان مجيء إخوته يبكون خداعًا لأبيهم.

وفي آية (يوسـف) الثانية كان الدم الـذي جاءوا به على قميصه دم زور وبهتان.

وآية (الفرقان) تصف مجيء المشركين الطاغين في القرآن بأنه (ظلم وزور) وبهذا تطرد القاعدة التي أجروا عليها حذف (الألف) لهذه الأفعال الأربعة.

فالحـذف -إذن- لـه دلالة توكيد لا تأسـيس؛ لأن هـذه المعاني الذميمـة تُفهـم من سـياق الـكلام[٣٤] إلا أن هذا الحـذف فيه زيادة

(٣٣) ورد حـذف «الألف» في الفعل «جاءو» في موضع واحد في القرآن غير مستعمل في الشر، بل في الخير وذلك في قوله تعالى:
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (الحشر: ١٠)
ولم يوجه العلماء سر الحذف فيه والظاهر -بناء على توجيهات مماثلة لهم في مواضع أخرى- أنه للرمز على أن هذا المجيء معنوي عقلي لا حسي مادي وأنه «بُعدٌ» زماني لا مكاني.

(٣٤) التأسيس هو الكلمة أو الكلام الذي يفيد المخاطب معنى لا علم له من قبل به من كلام آخـر والتوكيد هو الكلمة أو الكلام الذي يفيد المخاطب معنى سبق عند المخاطب العلم به من كلام آخر مثل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾

تركيز ولفت للأذهان الغافلة.

ومن هذا القبيل الأفعال الواردة في الآيات الآتية:

هـ- ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٦)

فقد حذف (الألف) بعد واو الجماعة من الفعل ﴿فَآءُو﴾ لا لأن الفعل مذموم بل لمعنى آخر شريف، هو الإشارة إلى (الفيء) القلبي، وهو الأساس في إصلاح ما بين الزوجين، وليس المراد الفيء (أي الرجوع) الجسدي المادي؛ لأنه مع انعدام صفاء القلوب لا يعيد الوئام بين الزوجين، وملمح آخر يرمز إليه هذا الحذف، وهو سرعة رجوع الزوج إلى الصفح عن زوجته قبل انقضاء الأشهر الأربعة، التي أذن الشرع له بها في هجره إياها.

و- ومن هذه الأفعال قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾

(سبأ: ٥)

حذف (الألف) بعد واو الجماعة من الفعل ﴿سَعَوْا﴾ زيادة توكيد لذم هذا الفعل وفاعليه؛ لأنه سعي في محادة الله ورسوله.

فكلمة «اقرأ» تأسيس؛ لأنها أفادت النبي ﷺ أمرًا لا علم له به من قبل.
أما «اقرأ» الثانية في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾
فهي توكيد لا تأسيس لسبق العلم بالأمر من «اقرأ» الأولى.

ز- وكذلك قوله جل وعلا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾

(الفرقان: ٢١)

في صدر هذه الآيـة حكى الله جل وعلا جرائم الذين كفروا بلقاء الله، ثـم تعنتهم وعنادهم حيث جعلوا شـرط الإيمان بالله واحدًا من أمرين:

- أن يُنزل الله عليهم الملائكةَ يرونهم رأي العين ويسمعونهم!
- أو يروا الله جل وعلا، وتعالى عما يقولون.

ثـم قضـى الله عليهـم بأنهم قد اغتالهـم الغرور، ورأوا أنفسـهم كبـارًا لا يخضعون لنداء الحق، وتجاوزوا كل مدى معهود في البغي والعنـاد، وجاء حـذف (الألف) من الفعـل ﴿عُتُوِّ﴾ رمزًا على قبح هذا الفعل، وشناعة إثم فاعليه وتفردهم في الكفر والعناد.

ل- وكذلك حذف (الألف) من الفعل المسـند إلى واو الجماعة في الآيات الآتية:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾

(البقرة: ٦١)

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

(البقرة: ٩٠)

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾

(آل عمران: ١١٢)

فـي هذه الآيـات الثلاث حـذف (الألـف) بعـد واو الجماعة.. هكـذا: ﴿ وَبَآءُو ﴾ وجاء هذا الحذف مرموزًا به إلى ذم الفعل (باء) وذم فاعليه.

ومما يؤكد هذا سـياق الكلام في الآيات الثلاث، ففي آية البقرة رقم (٦١) جاء هذا الفعل في سياق الحديث عن اليهود، وجرائمهم الشنيعة التي اقترفوها مع أنبيائهم والمرسلين إليهم.

فقـد اعتدوا على أنبيائهم بالقتـل، وكفروا بآيات الله جل وعلا، مع مخازٍ أخرى أسندت إليهم.

فـكان جزاؤهـم (الوفاق) إحلال غضـب الله في الدنيا، وسـوء المصير في الآخرة. وفي آية البقرة الثانية رقم (٩٠) جاءت عبارة:

﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾

بعـد فصـل طويل قصَّـه القرآن عن بنـي إسـرائيل (اليهود) من اتبـاع أهوائهم، ورفضهـم الإذعان للحـق، وتكذيبهم وحي الله جل وعلا؛ فجاء تسجيل الغضب عليهم جزاء لهم، وحذف (الألف) من (باءو) إشارة إلى أنه فعل استحقه اليهود على كفرهم وإفسادهم في الأرض، وإشارة إلى أن أسباب هذا (البوء) بلغت من القبح والشناعة مبلغًا غير معهود في دنيا الناس.

أمـا آية (آل عمران) رقم (١١٢) فمقـام الحديث فيها هو مقام الحديث في آيتي البقرة الآنفتي الذكر، وما يقال في آية منهما يقال في الآية الأخرى.

وينبغـي أن نفـرق بيـن الدقائق والأسـرار التي مـن أجلها حذف (الألف) في الأفعال التي تقدمت:

(جاءو – فاءو – عتو) وبين أسرار حذف (الألف) في ﴿وَبَآءُو﴾ فحذف (الألف) في (باءو) ليس رمزًا إلى ذم الفعل نفسه، ولكن باعتبار الأسباب والجرائم، التي صيرت بني إسرائيل (اليهود) هذا المصير؛ وذلك لأن الفعل (باءوا) مجازاة من الله لهم، على عنادهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق.

س– ومما حذف فيه (الألف) بعد واو الجماعة من الفعل المسند إلى هذه الواو موضعان آخران:

الأول: قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر: ٩)

انظر إلى رسم الآية، تجد الفعل ﴿تَبَوَّءُو﴾ حذف منه الألف، واستعيض عنه بهمزة رسمت على (الواو) تلتها همزة أخرى رسمت على السطر، وفوقها ضمة وهي في الرسم الإملائي الحديث ترسم هكذا: (تبوءوا).

ثم حذف منها (الألف) بعد واو الجماعة، الذي هو فاعل الفعل (تبوأ).

والذي يعنينا هو (الألف) المحذوف بعد واو الجماعة، وقد وجه العلماء هذا الحذف بأنه رمز إلى أن (التبوُّؤ) في الآية معنوي لا حسي، وهو الاختيار القلبي ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

والتبوؤ في اللغة هو (التمكن) و(الاستقرار).

هذا خلاصة ما قاله علماؤنا قديمًا، والمقام يحتمل توجيها آخر، حاصله أن مفعول التبوؤ في الآية أمران:

الأول: الـدار، وهو المدينة المنورة، وإيقاع التبوؤ عليها بمعنى التمكن فيها سـائغ؛ لأنها مكان، والتمكن في المكان حقيقة لغوية لا تحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر.

أما المفعول الثاني فهو (الإيمان) وهو معنى قلبي، وليس مكانًا حتى يكون صالحًا للإقامة فيه مثل الدار.

إذا تمهد هذا؛ فليس بمستنكر أن يكون حذف (الألف) هنا رمزًا إلى هذه اللطيفة، وهي أن الفعل﴿ تَبَوَّءُو ﴾استعمل في (الدار) على وجه الحقيقة واستعمل في الإيمان على وجه التنزيل، للدلالة على رسوخ الأنصار المتحدَّث عنهم في هذه الآية في الإيمان، متمكنًا في قلوبهم كتمكنهم هم في هذه الدار (المدينة) التي يقطنون فيها.

يعني: أن لهم (مباءتين) أو (مأويين):

١- المدينة دار إقامتهم ومثواهم آمنين فيها.

٢- والإيمـان، الـذي يحقق لهم أمنهـم في الدنيـا، وأمنهم في الآخرة.

وهذا الفهم لا يتنافى مع ما ألمح إليه علماؤنا من قبل.

وقد أشـار إلى قريب مما فهمناه بعض أئمة التفسير، والتمس له شاهدًا من الشعر العربي المأثور[٣٥].

هذا، وقد سـبق -مراتٍ- أن الحذف -عمومًا- قد يأتي رمزًا إلى المعانـي الغيبية غير المحسوسـة، وحمل (التبـوؤ) على الاختيار يجعله من الأمور الغيبية التي رُمز إليها بحذف (الألف) هنا.

---

(٣٥) انظر تفسير الإمام البيضاوي على هامش حاشية الشهاب الخفاجي (جـ٨ ص١٧٩) وما بعدها ط: دار صادر - بيروت.

وبقي الموضع الثاني الذي تحسن الإشارة إليه، وهو قوله تعالى:

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾

(النساء: ٩٩)

فالفعل (يعفو) حذف منه (الألف) بعد الواو الأصلية[٣٦] والأصل أن تثبت هكذا: يعفو، مع أن هذا الألف مزيد في الأصل لمعنى تقدم الحديث عنه في بحث زيادة (الألف).

وفي توجيه حذف (الألف) هنا قالوا: إن هذا الحذف رمز إلى أن عفو الله تعالى، وهو ترك المؤاخذة عما لا ينبغي أن يكون، وقد كان، وهو أمر غيبي لا يُدرك بالحواس.

هذا ما قالوه، وفي المسألة توجيه آخر ذكروه في بعض مواضع الحذف فيما تقدم وإن لم يذكروه هنا، وهو: أن هذا الحذف قد يكون مؤذنا بالإشارة إلى تحقق الوعد من الله وسرعته، وهو العفو عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً.

هذه هي المواضع التي حذف فيها الألف من أواخر الأفعال.

أما ما عداها مما شابهها فقد وردت كلها مثبتة (الألف) وقد أورد أبو عمرو الداني جملة منها في أحد مصنفاته في علوم القرآن[٣٧].

٣- حذف الألف من ثلاث كلمات في سورة الفاتحة (أم الكتاب) هي: (الرحمن، ملك، الصرط) والأصل في هذه الكلمات أن تكتب

(٣٦) الواو في «يعفو» ليست واو الجماعة ولكنها أصلية من بنية الفعل: عفا – يعفو ـ عفوًا وهي لام الكلمة.

(٣٧) انظر كتابه «المقنع ص٣٥» مرجع سابق ذكره.

هكــذا: (الرحمان، مالك، الصراط) فلمــاذا عدل عن إثبات الألف إلى حذفها؟

لقد وجــه بعض العلمــاء (علماء علــوم القرآن) وعلمــاء القراءات الحذف في (الرحمن) و(ملك) وها نحن نوجز ما يفهم من كلامهم.

● أمــا (الرحمــن) فوجهــوا حذف (الألــف) فيه بــأن رحمة الله ندركهــا بآثارهــا الظاهرة ولا نحيط بها علمًا كما هي في علم الله بل نؤمن بها إيمانًا مفوضين علم حقيقتها إلى الله لا على ما يرتســم في نفوسنا بالوهم والخيال (لأنه لا يعلم الله إلا الله)[38].

● وأما (ملك) فقد حذف منها الألف رمزًا إلى أن فيها قراءتين:

فقرأ عاصم والكســائي ويعقوب وخلــف (مالك) بإثبات الألف بعد الميم على أنه اسم فاعل من (ملك) والمالك هو المتصرف في الأعيان كيف يشاء.

وقــرأ الباقــون (ملــك) بحــذف الألف وكســر اللام بعــد الميم والكاف على وزن (حذر) على أنه صيغة مبالغة[39].

● وأما (الصرط) فلم يوجهوا الحذف فيه صراحة.

ونقول حملًا له على ما ذكروه من توجيهات في نظائره:

إن الحــذف هنــا للدلالة على أنه صراط معنوي وهو الإســلام، لا مادي.

---

(٣٨) عنــوان الدليل من مرسوم خط التنزيــل (٦٧) لأبي العباس المراكشي تحقيق هند شلبي طبعة دار الغرب الإسلامي الطبعة (١٩٩٠م) تونس.

(٣٩) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة (جـ١ ص١٣٥) د. محمد سالم محسن، طبعة دار الجيل بيروت ١٤٠٨هـ.

ومثـل حذف (الألف) في (ملك) رمزًا إلى تعدد القراءات كلمة (الريح) في قوله تعالى:

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ (الكهف: ٤٥)

فقد حذف (الألف) من (الياء) بعد (الراء) ولم يكن حذفه عبثًا بـل لـه دلالة تبصر القارئ لكتاب الله العزيز بـأن في كلمة (الريح) قراءتين:

فالقـراء تباينت قراءاتهم في كلمة (الريح) حيث وقعت فمنهم مـن قرأها في جميع مواضعها في القـرآن بالجمع وهو أبو جعفر إلا موضعًا واحدًا (السـادس عشر في سورة الحج، الآية ٣١) فقد قرأه بالجمع والإفراد.

وقـرأ (ابن كثير) بالجمع في أربعة مواضع منها آية الكهف هذه فتبين من ذلك أن كلمة (الريح في آية الكهف تواردت عليها قراءتا الجمع والإفراد وهي في المصحف بالجمع على قراءة عاصم وغيره ثـم رمزًا إلـى قراءة الإفراد بحـذف (الألف) فجاء رسـم الكلمة في المصحـف صالحًا للقراءتين بعد حذف (الألف) والاسـتعاضة عنه بشرطة صغيرة رأسية فوق (الياء)[٤٠].

ووجـه الجمـع هو اختـلاف جهات الريـاح: شـمالية جنوبية أو العكس واختلاف صفاتها: شديدة لينة، حارة باردة أما وجه الإفراد:

---

(٤٠) القـراءات لابن مجاهد (سورة الكهف) طبعة دار المعـارف - القاهرة، تحقيق: د/ شوقي ضيف.

فإن الريح جنس عام، يصدق على ما يندرج تحته من أفراد[٤١].

فحذف (الألف) في (الريح) كحذفه في (ملك)، كان القصد منهما الرمز إلى هذا المعنى اللطيف الذي أشرنا إليه من قبل.

وليس في كتاب الله العزيز شيء يخلو من الدلالة ولكن هذه الدلالات تفتقر إلى تفكر وتأمل وقد يغيب عنا بعض منها، وليس معنى هذا الخلو من الدلالة ولا يكون جهلنا بها دليلاً على انعدام الدلالة؛ لأنه كتاب لا تنقضي عجائبه.

٤- ومن المواطن التي شاع فيها أو كاد أن يطرد حذف (الألف) في الرسم العثماني للمصحف الشريف الأسماء الأعجمية غير العربية.. مثل الأسماء الآتية: إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، هاروت، ماروت وهارون وسليمان وقارون وهامان وميكال وإسرائيل ولقمان.

كل هذه الأعلام غير العربية رسمت في المصحف الشريف محذوفًا منها (الألف) هكذا:

إبرهيم، إسماعيل، إسحق، هروت، مروت، سليمن، قرون، همن، ميكل، إسراءيل، لقمن.

● ويلاحظ أن هامان حذف فيه (الألف) مرتين:

مرة بعد (الهاء) وأخرى بعد (الميم) هذا هو المتبع في الأعجميات إلا (طالوت - جالوت - التابوت) فقد أثبت فيها (الألف) وكذلك (يأجوج - مأجوج - داود).

وقد وجهوا إثبات (الألف) في (داود)، لأنه حذف منه أصل الواوين بعد (الألف) فكرهوا اجتماع حذفين فيه

---

(٤١) المغني في القراءات العشر المتواترة، مرجع سبق ذكره.

ولو اجتمع الحذفان لصار (داوود).

●● وقد يقول قائل إنهم حذفوا من (هامان) حذفين، فلماذا كرهوا ذلك في (داود)؟

لم نر لبعض العلماء توجيهًا لهذا، لكن يبدو أنهم فرقوا بين (همن) و(داود) بأن: (همن) كان الحذف فيه لحرف واحد هو (الألف).

أما (داود) فإن الحذف كان سيعتري حرفين هما (الألف) و(الواو) وفي هذا إجحاف بحذف أصلين من أصول الكلمة.

أما عدم الحذف في (يأجوج ومأجوج) فيبدو -كذلك- أنهم فرقوا بين (الألف) الذي هو حرف (مد) ولين وبين (الهمزة) وهو أقوى وأظهر وجودًا في النطق والخط من (الألف) التي هي حركة صوتية ناتجة عن فتح ما قبلها وامتداد لتلك الفتحة.

أما (طالوت - جالوت - تابوت) فلم أر من وجه إثبات (الألف) فيها مع أنها أعلام أعجمية لا عربية سبيلها سبيل غيرها من الأعجميات في حذف (الألف)؛ لذلك فإن إثبات (الألف) فيها تثير هذا السؤال:

لماذا لم تحذف (الألف) في هذه الكلمات الثلاث؟

وفي الحقيقة فإني لم أجد إجابة عند العلماء على هذا السؤال، لكن الذي بدا لي فيه بقوة أن هذه الكلمات أشبه ما تكون بكلمات عربية لأن تحريرها من المقطع الأخير فيها يسفر عن كلمة عربية أصيلة هكذا:

طال ـ جال ـ تاب وذلك بعد حذف المقطع (وت)[٤٢].

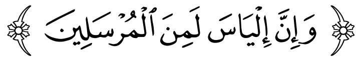
فهـل -يا ترى- كان هذا هو السـبب في تركهم حذف (الألف) فيها ؟

مـن جانبـي أرجح هـذا فإن أصبت فمـن الله وإن كانـت الأخرى فمني، وفوق كل ذي علم عليم.

وأيًا كان الشـأن فإن حذف (الألف) مـن الأعلام غير العربية في رسـم المصحف رمزوا به إلى الدلالة علـى أعجمية هذه الأعلام ولم يحذفوه عبثًا أو جهلًا بقواعد الخط.

وبعض العلماء أشـار إلى أن (سـليمان) ليس أعجميًا ثم التمس وجهًـا لحـذف (الألـف) منـه ومـن صالـح ومالـك... هـو كثرة الاستعمال[٤٣].

ومـن الكلمات الأعجميـة التي ثبت فيها (الألـف) ولم يحذف كلمة (إلياس) الواردة في قوله تعالى:



(الصافات: ١٢٣)

وقد عدلوا عن توجيه إثبات الألف فيه.

---

(٤٢) بعضهـم وجه إثبـات «الألف» في «جالوت» وحده بـأن المقصود به «الجسم المادي»؛ لذلك ثبت «الألف» فيه. انظر عنوان الدليل (ص٧٣) مرجع سابق ذكره.

(٤٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٩١) لكن القول بعربية «سليمان» ليس على إطلاقه فهـو تصغير «سلمان» ولهذا الوزن نظائر فعـلًا في العربية «عدنان» لكن المعروف أن هـذه التسمية «سليمان» عبرية بها سمي نبـي الله «سليمان» أما قبل التصغير «سلمان» فيعزى إلى الفارسية وبها سمي «سلمان الفارسي»، إذن فالقول بأن سليمان ليس بأعجمي بل عربي يحتاج إلى دليل آخر.

والـذي يتبـادر إلى الفهم أنهـم لم يحذفوا منـه (الألف) لأن في حذفـه إنهاكًا في بنية الكلمـة بكثرة الحذف منها لأن (إلياس) هذا هو (إل ياسين) في قوله تعالى:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾

(الصافات: ١٣٠)

ولو كانوا قد حذفوا منه (الألف) لصار المحذوف منه ثلاثة أحرف هـي: الألف – الياء – النون وكلها أحرف يغاير بعضها بعضًا، وهذا يشـير إلى أنهم يميلون إلى حذف الحـروف المتماثلة لا المتخالفة فقد رأينا أنهم حذفوا (الألفين) من (هامان) هكذا: (همن) وهكذا صنعـوا في (طـه) والأصـل: (طاها) فحذفـوا منه الألفيـن لأنهما متماثـلان، وفي هذا إيماءٌ إلى المنهـج الدقيق الذي روعي في كتابة المصحف الشـريف في عصر النبوة لأول مرة واعتمدته الأمة ونص الأئمـة الأعلام على منع كتابة المصحف بغير الرسـم الذي كتب به في حياة النبي ﷺ ثم جمع بعد ذلك في المصحف الإمام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٤٤].

٥- حذف الألف من الصيغة الندائية (أيها):

كثـر النداء فـي القرآن الكريم بـ (أيها) بإثبـات (الألف) بعد (الهاء) وذلك مثل الآيات الآتية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٠٤)

---

(٤٤) انظر البرهان (٣٧٦/١) وما بعدها.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾

(النساء: ٤٣)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ ﴾

(المائدة: ١)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ (الأحزاب: ١)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ ﴾ (النمل: ٢٩)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ﴾ (النمل: ١٨)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل: ١)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١)

وكذلك ورد مع غير الذين آمنوا مثل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾

(البقرة: ١٦٨)

وقـد بلغت هذه الصيغة الندائية أكثـر من مئة موضع وهي مثبت

فيهـا (الألف) إلا في ثلاثة مواضع ترى (الألف) محذوفًا فيها وهي على الترتيب المصحفي على النسق الآتي:

الموضع الأول:

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

(النور: ٣١)

الموضع الثاني:

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾

(الزخرف: ٤٩)

الموضع الثالث:

﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾

(الرحمن: ٣١)

● ويَرِدُ على هذا سؤال لحوح:

لماذا أثبت (الألف) في رسـم المصحف الشـريف في جميع ما ورد فيه من (يا أيها) وحذف من هذه المواضع الثلاثة:

في النور وفي الزخرف وفي الرحمن؟

إنه لمن المحال أن يكون هذا التصرف لغير حكمة أو لغير معنى مـراد أو لغيـر مقتضى اقتضاه... إذن فما الـذي اقتضى الحذف في هذه الآيات يا ترى؟

رحـم الله علماءنا خَدَمَةَ كتابِ الله عز وجـل فقد أجابوا على هذا السـؤال إجابة صائبة يعاضد صوابها المقام أو السياق الذي ورد فيه هذا الخلاف في الآيات الثلاث.

● وإليكم البيان:

ذكـروا في توجيه هذا الحذف في المواضـع الثلاثة عبارة جامعة قالوا فيها:

والســر في ســقوطها -يعني الألف- في هذه الثلاثة الإشــارة إلى معنــى الانتهــاء إلــى غاية ليــس وراءها غاية فــي الفهم يمتــد النداء إليها...

وتفصيل ذلك هو ما يأتي:

أن النداء في

﴿أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

موجه إلــى (المؤمنون) جميعًا بأن يحصلــوا التوبة التي يترتب عليهــا الفــلاح وليس بعد تحقيق هــذه القيم غايــة تتطلب نداء ولا زيادة لمستزيد.

وأن النداء في

﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾

والمراد منه رســول الله موســى عليه السلام ليدعو الله بما عهد عنده من الوعد الحســن لعبــاده المهتدين وترتيب هدايتهم علــى هذا النداء غايــة قصوى لا تترك نــداء لما هو فوقها، وأن النداء من الله عز وجل يــوم القيامــة للإنــس والجن لا يترك مجــالًا آخر لنــداء غيرهم؛ لأن الإنس والجن هم المكلفون.

هــذه هي إجابة علمائنــا الأقربين (خدمة كتــاب الله العزيز) في كشف اللثام عن السر اللطيف وراء حذف (الألف) بعد (الهاء) من الصيغة الندائية الكثيرة الورود في القرآن (يا أيها).

وفـي هذه الإجابـة كفاية وشـفاء، وتطبيـق قاعدتهـا على مقام الحديث في الآيات الثلاث يؤازر ما قالوه -رحمهم الله- .

١- فالمنادِي في آية النور هو (الله) عز وجل، والمنادَى فيها هم جميع المؤمنين.

● وموضوع النداء هو (التوبة النصوح).

● وثمرتـه هو الفـلاح في الدين والدنيا، وليـس بعد هذا مطلب لطالب ولا زيادة لمستزيد.

٢- والمنـادِي في آية الزخرف هم فرعون وملؤه، والمنادَى فيها هو موسى عليه السلام.

● والموضوع له شقان:

أ- دعاء موسى ربه برفع العذاب عن فرعون وملئه.

ب- دخول فرعون وملئه في الدين الذي يدعو إليه موسى عليه السلام.

● وإذا حدث هذا انتهت الخصومة بين الطرفين، وليس بعد هذا زيادة لمستزيد ولا مطلب لطالب.

٣- والمنادَى في الآية الثالثة هم الثقلان: الإِنس والجن.

● وموضوع النداء هو فصل الله في كل الأمور، التي تتعلق بمصير الفريقين.

● ولن يبقى بعد ذلك شـأن من الشـئون، ينتظـر قضاء قاض، أو تصريف حكيم.

● هـذا هو المعنى الـذي من أجله حذف (الألف) من (أيه) رمزًا

إلى بتّ الغايات وقطعها، وانتهاء كل المشكلات.

● فهل في ذلك ذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد ومخلص ومذعن للحق..؟!

٦- حذف (الألف) من الجموع السالمة، والمكسرة:

ومما شاع فيه حذف (الألف) الجموع السالمة، كذلك المكسرة، مذكرة كانت أو مؤنثة، وذلك مثل ما ورد في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

(الأحزاب: ٣٥)

في هذه الآية الكريمة عشرون جمعًا سالمًا، عشرة مذكرة، وعشرة مؤنثة.

وقد ورد حذف (الألف) في سبع جموع مذكرة، هي القانتين، الصادقين الصابرين، الخاشعين، الصائمين، الحافظين، الذاكرين.

أما الجموع العشرة المؤنثة، فقد حذف (الألف) فيها جميعها، وفي ثلاثة منها حذف (الألف) مرة واحدة، وهي: المسلمات، المؤمنات، المتصدقات.

أما في الجموع السبعة الأخرى فقد حذف (الألف) مرتين في كل منها وهي:

القانتـات، الصادقـات، الصابـرات، الخاشـعات، الصائمات، الحافظات، الذاكرات.

● وفـي توجيـه هذا الحذف أشـاروا أولًا إلى أن هـذه (الألفات) المحذوفة زائدة ليست من أصول الكلمة وهذا حق، وبيان ذلك:

أن (الألفيـن) المحذوفين من (القنتت) مثلًا، لا وجود لهما في الفعل الذي صيغ منه اسم الفاعل المؤنث المجموع.

لأن صيغة الفعل هي:

قنت في الماضي، يقنت في المضارع.

وكذلك: (الصادقات - الصابرات) فهما اسم فاعل من:

صـدق وصبر، و(الألفـان) اللذان فيهما اسـتُجلب أولهما لبناء اسم الفاعل مذكرًا كان أو مؤنثًا:

صادق، صادقة، صابر، صابرة.

أمـا (الألف) الثاني فمسـتجلب للدلالة على الجمع: صادقات، صابرات.

ولعـل مرادهـم من النـص على هذه الزيـادة أن يقولـوا إن الزائد يسـهل التصرف فيه مع بقاء ما يدل عليه، ثم أضافوا إلى هذه سـببًا آخـر في حـذف (الألف) فيما يحـذف منه، وهـو الاختصار وكثرة الاستعمال(٤٥).

هـذا ما ذكروه في توجيه الحذف في هـذه المواضع، وبقيت لنا إضافة مسـتوحاة مما سـبق أن قالـوه، وهو: أن علماءنـا الأقدمين،

---

(٤٥) انظـر المقنع في رسم مصاحف الأمصار (٣٠، ٣١) لأبي عمرو الداني، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

الذين عللوا ما كتب في المصحف مخالفًا للخط الإملائي العام، قد أفصحوا مرات على أن الحذف يرمز به كثيرًا إلى التفرقة بين المعنوي الذي يدرك بالعقل، والمادي الحسي الذي يدرك بالحواس الظاهرة: (السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس)، وقد نصوا كثيرًا على أن حذف (الياء) وحذف (الألف) كثيرًا ما يكونان رمزًا للدلالة على (المعنويات).

وإنعاشًا لذاكرة القارئ نعيد المقارنة بين كلمتين مما سبق لنا توجيه الفرق بينهما على الأساس المتقدم.

قال الله عز وجل:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

(الكهف: ٢٤)

وقال حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

(القصص: ٢٢)

ورد الفعل في آية الكهف ﴿يَهْدِيَنِ﴾ محذوفًا منه (الياء) وورد في آية القصص ﴿يَهْدِيَنِى﴾ مثبتًا فيه (الياء)، قال علماؤنا رضي الله عنهم إن سبب الحذف في آية الكهف هو الدلالة على أن (الهداية) المطلوبة معنوية، وهي التذكر بعد النسيان، فهي -إذن- أمر معنوي يُحَسّ في فكر الإنسان.

أما عدم الحذف في آية القصص؛ فلأن موسى عليه السلام طلب من الله

هداية حسية هي معرفة الطريق الذي يسلكه إلى مدين[٤٦].

إذا تقــرر ذلــك نقــول: إن الحذف فــي الكلمات الــواردة في آية سورة الأحزاب لا يبعد أن يكون رمزًا إلى معنوية الصفات المذكورة فيها، وهي: الإِسلام، الإِيمان، القنوت، الصدق، الصبر، الخشوع، التصدق، الصيام، (العفة الخلقية)، الذكر الكثير.

لأن المــراد مــن المؤمنات والمســلمات والقانتــات، ومن بقية الصفــات المدلــول عليها بأســماء الفاعلين مذكريــن ومؤنثات هو الصفات لا الذوات.

وليس في هذا الفهم مصادرة لما قاله علماؤنا الأقدمون رضي الله عنهم.

ولكنــه إضافــة لا تلغي مــا قالوه؛ لأنها مســايرة لمــا ذكروه، لا مغايرة له.

ونحن اســتوحينا هذه الإِضافــة من قواعدهم التــي نصوا عليها، وطبقوها على عشرات الخصوصيات في الرسم المصحفي الشريف.

٧- حذف (الألف) من (الضفادع)، (مفصلات):

ومن الآيات اللافتة للنظر في الإِثبات والحذف قوله تعالى:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾

(الأعراف: ١٣٣)

فقد أثبت (الألف) في: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾، ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾.

(٤٦) البرهان (١/ ٤٠٠).

وحـذف فـي :﴿ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾، وجريًـا على القواعـد التي ذكرت مع تطبيقاتها من قبل ندرك أن ثبوت (الألف) في (الطوفان والجراد)؛ لأنهما كائنان ماديان حسـيان لهما وجود ظاهر في عالم المحسوسـات: فالطوفان هو تدفق الماء مع ارتفاعه، والجراد حشرات طائرة، وقد تسير في أسراب تحجب ضوء الشمس فثبت (الألف) رمزًا على ماديتها وحسيتها الظاهرة.

أمـا حـذف (الألف) في (الضفـادع) وإن كانـت كائنات مادية حسـية، فليس لها ظهور حسي كالطوفان والجراد؛ لأنها تعيش في المـاء، ففيها نوع خفاء كما ترى ولا يقدح في هذا الفهم الاحتجاج بقوله تعالى:

﴿إِذْ تَـأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾

(الأعراف: ١٦٣)

لأن (الألـف) أثبتت فـي (حيتانهـم) وهي كائنـات مائية، من شـأنها الخفـاء أكثر مـن الضفادع، لكننـا نقول في الـرد على هذا الاحتجاج: إن (حيتانهم) في هذه الآية لم تكن خافية في الماء؛ لأن الله عز وجل أثبت لها صفتين قويتين في الظهور وهما:

- الإتيان المدلول عليه بـ﴿تَأْتِيهِمْ﴾.
- ثـم قوله تعالـى: ﴿شُرَّعًا﴾؛ لأن معنـاه: ظاهرة على وجه الماء[٤٧].

(٤٧) الكشاف للإمام الزمخشري (١٢٥/٢).

وحذف الألف في ﴿مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ لأن ذلك التفصيل أمر معنوي في تدبير الله عز وجل قبل أن يروه واقعًا في حياتهم.

٨- حذف الألف من: (الكتاب)، و(القرآن):

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾

(البقرة: ١، ٢)

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

(آل عمران: ٧)

﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

(الزخرف: ١، ٢)

من ملاحظات العلماء في خصوصيات الرسم العثماني الشريف، كلمتا:

(الكتاب)، و(القرآن)، وقد أسفرت هذه الملاحظات عن أن:

- الأصل في كلمة (الكتاب) تأتي محذوفة (الألف) إلا في أربعة مواضع في الذكر الحكيم جاءت كلمة (الكتاب) فيها بإثبات الألف.

- أما (القرآن) فإن الأصل في هذه الكلمة أن تكتب بإثبات (الألف) إلا موضعان وردت فيهما كلمة (قرآن) محذوفة (الألف).

ومحال أن يكون هذا (التصرف) عبثًا خاليًا من الحكمة، والمعاني اللطيفة التي من أجلها كان الحذف والإثبات في كلمات الكتاب العزيز.

نماذج من (الكتاب) محذوفة (الألف):

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة : ٢)

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة : ٨٩)

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة : ١٠١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾

(البقرة : ١٥٩)

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

(آل عمران : ٧)

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾

(يوسف : ١)

﴿ الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الرعد : ١)

في الآيات السابقة وردت كلمة (كتاب) في حالتي التعريف

والتنكير سبع مرات مرادًا منها القرآن، ومرة واحدة في حالة التعريف مرادًا منها التوراة والإنجيل، التوراة كما أنزلها الله على موسى، والإنجيل كما أنزله الله على عيسى -عليهما السلام- .

وفي المرات الثماني حُذف (الألف) الذي بعد (التاء) من كلمة (كتاب) معرفة ومنكرة.

وهذا خلاف الأصل؛ لأن الأصل بقاء (الألف) وقد رُمز إلى (الألف) المحذوف بالشرطة الرأسية فوق (التاء) مفصولة عنه.

فما هو الأمر الذي اقتضى حذف (الألف) في هذه الكلمة في جميع مواضع ورودها في القرآن الكريم، سواء كان المراد منها القرآن، أو كتابًا سماويًا آخر، أو كان المراد منها غير الكتب السماوية؟

القاعدة الكلية التي ذكروها في هذا الحذف، المطرد -تقريبًا- لحرف (الألف) في كلمة (كتاب) هي: أنه رمز للقرآن، وهو مسطور في اللوح المحفوظ، أي إشارة إلى الجانب الغيبي العلوي للقرآن، كما قال عز وجل:

﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾

(البروج: ٢١، ٢٢)

هذا في القرآن، أما في غيره من الكتب السماوية فلأن لها جانبًا علويًا قبل أن ينزل بها الوحي الأمين على رسل الله عز وجل.

نقرب ما قالوه في هذه القاعدة من أن الكتب السماوية لها جانبان، أو اعتباران:

الاعتبار الأول: هو العلوي قبل نزول الوحي بها، وبعد نزول الوحي بها؛ لأن الجانب العلوي حقائق في علم الله عز وجل لا يحيط بها علمًا إلا هو عز وجل.

أما الاعتبار الثاني: فهو ملحوظ صلة الخلق بما أنزله الله، فهم يقرءونه مخطوطًا أو مكتوبًا، ويتلونه منطوقًا بأصوات، ويتدبرون معانيه وهو بين أيديهم.

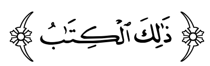
فالكتاب (القرآن) طرفه الأعلى: (اللوح المحفوظ) عند الله عز وجل، وطرفه الأدنى (المصحف المسطور) بيد الناس، فالمبدأ بعيد عنا نحن البشر، والمنتهى قريب منا.

إذا تمهد هذا، فإن حذف (الألف) من الكتاب أو من كتاب جعل رمزًا للقرآن في عليائه، أما إذا أثبت (الألف) في الكتاب -كما سيأتي- فإن المراد به هو الطرف الأدنى، وهو صورة القرآن التي نزلت على خاتم النبيين ﷺ فقرأناها مكتوبة في المصاحف، وتلوناها محفوظة في الصدور.

وحذف كذلك (الألف) من كلمة (كتاب) أو (الكتاب) أينما وقعت في القرآن الكريم، وسيأتي السبب في اطراد الحذف فيها إذا شاء الله.

تطبيقات وتحليلات:

ومن الخير أن نجري تطبيقات وتحليلات سريعة لبيان تمكن هذه القاعدة في بعض المواضع التي تقدمت، ولنبدأ بما بدأنا به منها، وهو قوله تعالى:



نجد علماء البلاغة في شرحهم لهذا التركيب بلاغيًا يقدمون

حولـه تفصيـلات دقيقة وكأنهـم يبينون هـذا المعنى الـذي ذكره العلماء في توجيه خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف :

●● فهذا التركيب مكون من جزءين :

- ذلك : وهو المسند إليه أو المبتدأ .

- الكتاب : وهو المسند أو الخبر .

فـالأول اسـم إشـارة إلى مفـرد مذكر بعيـد مكانًا عـن المتكلم المشير ، والقريب منه جدًا يشار إليه بـ(ذا) فإذا بعد قليلًا يشار إليه بـ(هذا) بزيادة (هاء) التنبيه ولفت النظر .

فإذا بعد بعدًا ملحوظًا ، وكان المشير والمشار إليه بينهما مسافة طويلة أشير إليه بـ(ذلك) بزيادة (اللام) ثم (الكاف) .

واللغويون يسـمون هذا (اللام) لام البعد المكاني أما (الكاف) فيسمونه (كاف الخطاب) .

أمـا الجزء الثاني (الكتاب) وهو المسـند أو الخبر ، فهو معرف بـ(الألف واللام) فصار التركيب كله :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾

والجـزءان معرفتان ، الأول لأنه اسـم إشـارة ، والثاني لأنه محلًى بالألـف والـلام كمـا تقـدم ، وفي الإشـارة إلـى القـرآن (الكتاب) بـ(ذلك) اسـم الإشارة الموضوع للمشار إليه البعيد المكان تفخيم وتعظيم له ، حيث إنه بعيد المكان ، وبعيد المكانة لعلو منزلته فوق كل الكتـب . ويخطو البلاغيون خطوة أخرى فيقولون إن مجيء هذا التركيب



معـرف الجزءين يفيد حصر معنى جنـس (الكتاب) حتى لكأنه لا كتاب غيره في الوجود؛ لأنه اجتمعت فيه كل الخصائص الرفيعة التـي تفرقـت في غيره من الكتـب فهو الكتاب الكامـل الذي ليس فوقه كمال فـي كتاب غيره، ولا يوجد هذا الكمال والرفعة إلا فيه، وفي مثل هذا المعنى يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: واعلم أنك تجد (الألف واللام) في الخبر على معنى الجنس ثم ترى له في ذلك وجوهـا: أحدها: أن تقصر جنس المعنـى على المخبر عنه لقصدك المبالغـة، وذلك في قولـك: زيد هو الجواد، وعمرو هو الشـجاع، تريـد أنه الكامل، إلا أنـك تخرج الكلام في صـورة توهم أن الجود والشـجاعة لا توجد إلا فيه؛ وذلك لأنك لم تعتدَّ بما كان من غيره؛ لقصـورٍ عن أن يبلغ الكمال، فهـذا كالأول فيٍ امتناع العطف عليه، فلـو قلتَ: زيد هو الجواد، وعمـرو، كان خلفًا من القول، يريد: أن هـذا التركيب الذي حصرت فيه معنـى الخبر على المبتدأ لا يتضح فيه أن تعطف ما يشارك المبتدأ في الاتصاف بمعنى الخبر؛ لأن هذا العطف يجعل المعطوف شـريكا للمبتـدأ الأول في معنى أنت قلت إنه مقصور عليه، ولا يوجد إلا فيه.

ومن هذا القبيل قول الشاعر:

إن الألـــى حـانـت بـفـلـج دمـاؤهـم
هـم الـقـوم- كـل الـقـوم- يـا أم عامر

يعني: لا قوم غيرهم.

ومنه قول الشاعر يمدح مقاتلي غزوة بدر الكبرى:

هـم الـرجـال، وعـيـب أن يـقـال لمن
لـم يـتـصـف بـمـعـانـي وصـفـهـم رجـل

أي: لا رجال غيرهم، وهذا كله مبنيٌّ على عدم الاعتداد بغيرهم، وإن كان لهم وجود في الحياة.

إذن فقوله تعالي:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾

وصف للقرآن بالكمال المطلق، والمنزلة الرفيعة، التي لا توجد إلا فيه، وإن كان غيره له منزلة، لكنها لا يعتد بها بالنظر لعلو منزلته هو، وبلوغه شأوا لم يبلغه كتاب سواه.

فحذف (الألف) في (الكتاب) من قوله عز وجل:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾

لم يأت اعتباطًا، وإنما هو رمز لتلك المعاني الرفيعة، والكمال الفريد فيما أنزله الله على محمد ﷺ.

وهذا المعنى ملحوظ في الآيات السبع التي تقدم ذكرها وفي غيرها وهو كثير في آيات الذكر الحكيم، الذي أريد من كلمة (كتاب) و(الكتاب) هو القرآن العظيم، ويؤكد هذا كله، ويرفعه إلى درجة اليقين الذي لا يقبل الشك قوله تعالى في الثناء على كتابه العزيز:

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾

(الزخرف: ١ - ٤)

فتأمل جيدًا قوله عز وجل:

﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾

يقول الإمام الزمخشري في توضيح ذلك:

(أم الكتاب) هو اللوح، كقوله تعالى:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

(البروج: ٢١، ٢٢)

سُمي -أي اللوح المحفوظ- بأم الكتاب؛ لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب ومنه تنقل وتستنسخ، ﴿لَعَلِيٌّ﴾: رفيع الشأن في الكتب لكونه مُعجِزًا من بينها، ﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة، أي منزلته عندنا منزلة كتاب، هما -أي العلو والحكمة- صفتاه، وهو -أي القرآن- مثبت في أم الكتاب هكذا(٤٨).

يعني: مذكور وموصوف في أم الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ هكذا بالعلو والحكمة ورفعة الشأن.

ومن قبله قال الإمام البيضاوي: ﴿لَعَلِيٌّ﴾: رفيع الشأن في الكتب السماوية لكونه معجزًا من بينها.

﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، أو محكم لا ينسخه غيره)(٤٩).

ومن بعده قال الإمام الشوكاني:

﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

أي: وإن القرآن في اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ أي عندنا ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ رفيع القدر محكم النظم لا

---

(٤٨) الكشاف (٣/٤٧٨).

(٤٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٨٠).

يوجد فيه اختلاف ولا تناقض[٥٠].

وهكذا يجمع المفسرون على أن ثناء الله على القرآن هنا باعتبار مبدئه وطرفه الأعلى وهو وجوده في اللوح المحفوظ، وهذا يناسب إطلاق اسم (الكتاب) أو (كتاب) عليه، وسوف نقف على سر هذه المناسبة عند الحديث عن إثبات (الألف) في كلمة (القرآن)، أو (قرآن) إن شاء الله.

وبعد ما قدمناه -على إيجازه- نرجو أن نكون قد وفقنا في توضيح أن حذف (الألف) من كلمة (الكتاب) أو (كتاب) -مرادًا منهما القرآن- مقصودٌ قصدًا لكتبة الوحي، وأن له دلالة ذات شأن عظيم.

إثبات الألف في (الكتاب):

تقدم أن حذف (الألف) مطرد في الرسم العثماني للمصحف الشريف، إلا أربعة مواضع أثبت فيها (الألف) وهي:

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

(الرعد: ٣٨)

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾

(الحجر: ٤)

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ (الكهف: ٢٧)

---

(٥٠) فتح القدير (٤/٦٢٦).

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

(النمل: ١)

لم تحذف (الألف) من كلمتي (الكتاب) و(كتاب)، وإنما أثبتت، لأن الأصل فيها (الإثبات) ومعروف أن الذي يجري على الأصل لا يسأل عنه، ومع هذا فإن العلماء بينوا لماذا جرى الإثبات هنا على الأصل فقالوا:

كلمة (كتاب) في آية (الرعد) المراد منها كتاب الآجال فهو- إذن- معنى خاص.

وكذلك في آية (الحجر)، فإن المراد بالكتاب المتلو أجل إهلاك القرى الظالمة.

أما آية (الكهف) فإن المراد منه القرآن من حيث طرفه الأدنى مقروءًا متلوًا بالألسنة.

وكذلك آية (النمل) فإن المراد منه الطرف الأدنى.

وسيأتي توضيحه عند الحديث عن إثبات (الألف) في (القرآن) أو (قرآن) إذا شاء الله.

إثبات الألف في (القرآن):

القرآن معرفًا ومنكرًا تثبت فيه (الألف) ولا تحذف عكس ما عرفناه من حذف (الألف) في (الكتاب، وكتاب).

القاعدة التي تحكم هذا التصرف، وهو إثبات (الألف) في (القرآن) و(قرآن) هي أن هذا الإثبات يُرمَز به إلى أن المراد هو القرآن في طرفه الأدنى، أي المصحف المسطور فيه آيات

الذكـر الحكيم، نقرؤها مخطوطة بأعيننا، ونتلوها مسـموعة بألسـنتنا، فهو متنـاول بين أيدينا : نقرؤه، ونسـمعه، ونتدبر معانيه، متمكنين منه، كما نتمكن من الانتفاع بضوء الشمس وطاقاتهـا الحراريـة، دون أن تنالهـا أيدينـا، وهي سـابحة في عليائها.

فالكتـب رمز إلى الذكـر الحكيم في عليائـه ولوحه المحفوظ، والقرآن رمز إلى الذكر الحكيم من قربه منا وتمكننا منه.

وهـذا ملحـظ لطيـف؛ لأن كتابة أي شـيء تكون سـابقة في الوجود علـى قراءته، فالناس يقـرءون (المكتوب) ولا يكتبون (المقروء) وإلا كان ذلك تحصيل الحاصل، وهو باطل في حكم العقل.

نماذج تطبيقية على ما تقدم من آيات الذكر الحكيم:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ٨٢)

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الأعراف: ٢٠٤)

﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(يونس : ٣٧)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(يوسف : ٢)

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾

(الحجر : ١)

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء : ٩)

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾

(طه : ٢)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾

(الفرقان : ٣٢)

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (يس : ١ ، ٢)

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ (ص : ١)

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ (ق : ١)

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (الرحمن : ١ ، ٢)

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾

(الجن : ١)

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾

(المزمل : ٢٠)

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾

(القيامة : ١٨)

هذه عشرون مرة أثبت فيها (ألف) بعد الهمزة في كلمة (القرآن)، و(قرآن) والسؤال : لماذا اطّراد إثبات (الألف)؟

والجواب :

هو رمز إلى المعنى الذي ذكرناه من قبل، وهو أن المراد من القرآن أو من قرءان بإثبات (الألف) أنه هو كلام الله الذي نزل على رسوله الأمين فحفظ في الصدور وتُلي بالألسنة، وسطر في المصاحف بعد نزوله من عند الله عز وجل.

وإذا طلبت هذا المعنى من كل ما أثبت فيه في كلمتي : ﴿ الْقُرْآنَ ﴾ أو ﴿ قُرْآنٍ ﴾ ظفرت به دانيا بين يديك.

خذ إليك مثلًا قوله تعالى

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

(الإسراء : ٩)

تراه ينصرف إلى الطرف الأدنى القريب منا ؛ لأن الهادي يكون قريبًا من المهدي الذي يقتفي أثره، ويسير خلفه.

كذلك قوله تعالى:

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾

(المزمل: ٢٠)

تأمل فيه قرب المقروء من القارئ..

وكذلك قوله تعالى:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾

(البقرة: ١٨٥)

تجده ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الذي نراه مسطورًا في المصحف متلوًا بالألسن، محفوظًا في الصدور.

وكذلك قوله جل شأنه:

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ (يوسف: ٣)

لأن ما قصه الله علينا من أخبار الأمم الغابرة لم تكن لنا معرفة ولا صلة به إلا بعد نزول القرآن، وتمكننا من التمسك بطرفه الأدنى القريب منا.

ثم قوله عز وجل مخففًا العبء عن رسوله الكريم ﷺ:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾

(طه: ١، ٢)

لأن محمدًا ﷺ لم يَشْقَ في سبيل الدعوة إلى الله إلا بعد نزول القرآن.

وكذلك قوله تعالى جل ثناؤه:

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾

(ص : ١)

لأن ذِكرَ القرآن ملأ الآفاق بعد نزوله، فقد كان غيبًا مكنونًا في علم الله.
مصداق هذا قوله لرسوله الكريم في الرد على مشركي العرب حين طلبوا منه تبديل القرآن في قولٍ له:

﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾

(يونس : ١٥)

فأمره الله أن يقول لهم:

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(يونس : ١٦)

أي لو شاء الله ما أعلمكم بهذا القرآن.
وكذلك قوله:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر : ١٧)

فإن تيسير شأن القرآن للذكر، لم يحدث إلا بعد نزوله، لا باعتباره محفوظًا مكنونًا في اللوح المحفوظ.
ومثله قوله جل شأنه:

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾

(الجن : ١)

فإن استـماع النفر من الجن للقـرآن من فم محمد الطاهر ﷺ لم يكـن قبل نزوله وإنمـا كان بعد نزوله، والتمكـن من تلاوته، وبعد هـذه التطبيقـات والتوضيحات لا نظن أن أحـدًا يرتاب في صحة ما تقدم مـن أن حذف (الألف) من (الكتب) دلالـة على أن المقصود منه هـو كلام الله في طرفه الغيبي الأعلـى، أي في اللوح المحفوظ، وهو جانب لم يطلع عليه أحد من خلق الله، ولم يكن أحد قد شاهده وهو يسطر في اللوح المحفوظ، وأن إثبات (الألف) في ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ وفـي ﴿قُرْءَانٍ﴾ رمـز واضح للدلالة علـى أن المقصود منه هو كلام الله فـي الطرف الأدنـى، المتصلين نحن به: قـراءةً وحفظًا وتدبرًا، وعملاً.

أمـا الموضعان اللـذان جاء (الألـف) فيهما محذوفًـا من كلمة ﴿قُرْءَانٍ﴾ فهما:

الأول: في قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(يوسف: ٢)

والثاني: في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(الزخرف: ٣)

ومـن وصف فيهما (الكتب) بـ(المبين) وأن آيتي الشـاهد ختم كل منهما بهذه العبارة

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

فالمباني والمعاني في الآيتين واحدة، ولم تفترق الآيتان؛ إلا في ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ في سورة يوسف، و﴿جَعَلْنَاهُ﴾ في سورة الزخرف حتى لكأنهما آية واحدة كُررت مرتين.

فهل بعد هذا كله يقع في وهم واهم أنَّ حذف (الألف) من كلمة ﴿قُرْءَانًا﴾ في الآيتين جاء اعتباطًا خاليًا من الحكمة؟



الفهرس

ب- زيادة ونقص الياء ٣

١- زيادة الياء ٣

الموضع الأول: ٣

الموضع الثاني: ٦

الموضع الثالث: ٧

الموضع الرابع: ٨

الموضع الخامس: ١٠

الموضع السادس: ١١

الموضع السابع: ١٢

الموضع الثامن: ١٤

الموضع التاسع: ١٥

٢- نقص الياء (حذف الياء) ١٧

أ- الحذف في الأفعال: ١٧

ب- حذف (الياء) في فواصل الآي: ٤٠

أولًا: في الأفعال: ٤٠

أبرز وظائف هذه الفواصل في القرآن كله : ٤٢
ثانيًا : حذف (الياء) في الأسماء : ٤٧
أولاً : أمثلة الإثبات : ٥٩
ثانيًا : أمثلة الحذف : ٥٩
التوجيه : ٥٩
٣- حذف الياء من كلمة «قوم» : ٦٨
جـ- زيادة ونقص الألف : ٨١
أولاً : زيادة «الألف» ٨١
موقف الرسم الإملائي الحديث : ٩٤
ثانيًا : حذف الألف (نقص الألف) ٩٧
تطبيقات وتحليلات : ١٢٩
إثبات الألف في (الكتاب) : ١٣٤
إثبات الألف في (القرآن) : ١٣٥

* * *